الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور – خنشلة –

- كلية:الآداب واللغات
- قسم:اللغة والأدب العربي
- شعبة:أدب عربي
- التخصص: أدب قديم

الاغتراب المكاني في شعر الصعاليك (الأمويين)

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
محراب مريم

إشراف الأستاذة:
د. رواق حورية

أعضاء لجنة المنـــاقشة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أدامي خميسي	أستاذ محاضر – ب–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	رئيسا
رواق حورية	أستاذ محاضر–أ–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مشرفا ومقررا
بوشعشوعة رابح	أستاذ مساعد–أ–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مناقشا

السنة الجامعية 2017_2018

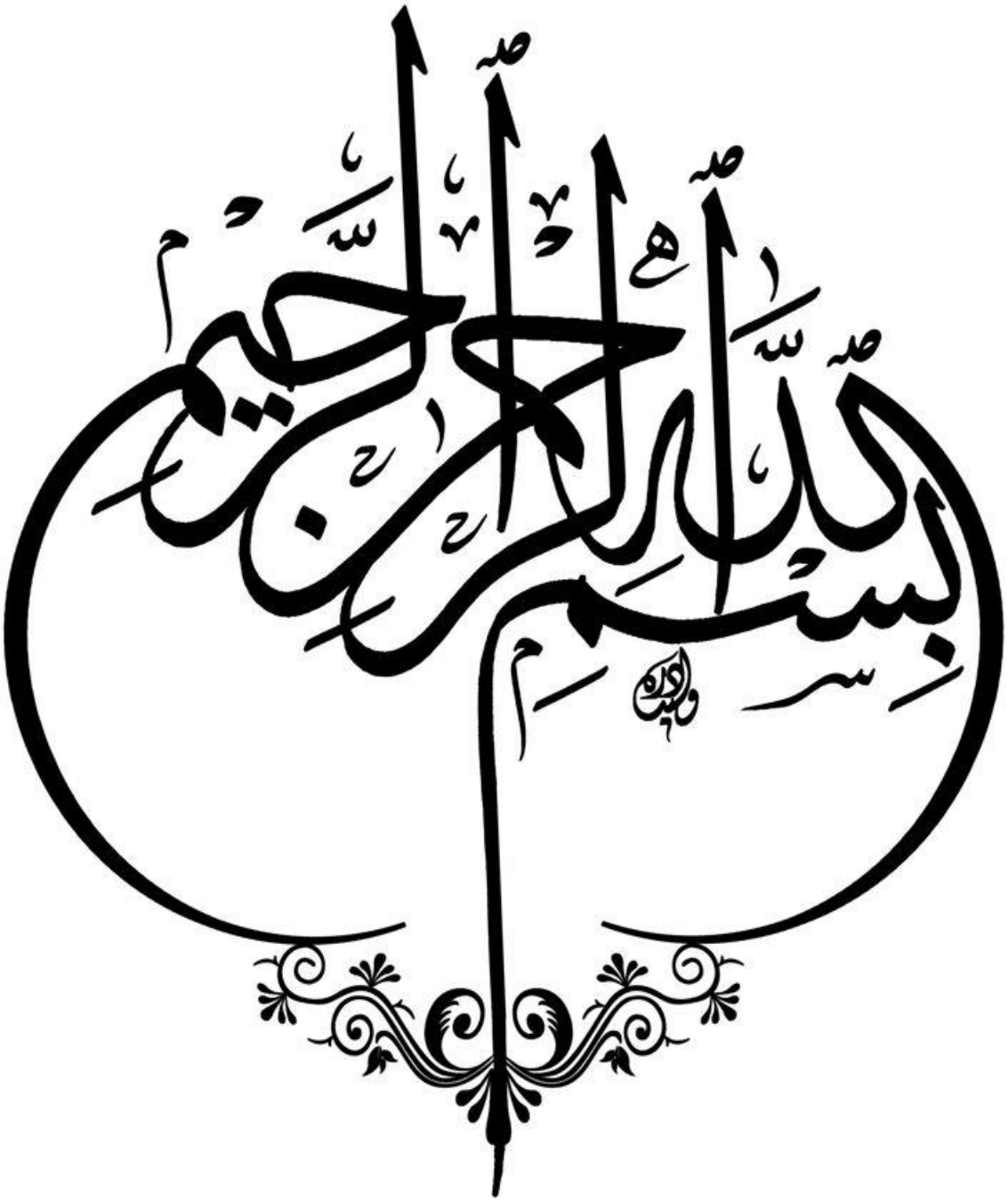
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

نحمد الله ونشكره على ما رزقنا من نعم وسدد خطانا لإتمام هذا العمل، وألهمنا الصبر ويسّر لنا سبل العلم والنجاح، والشكر موصول لأستاذتي الفاضلة:

د. حورية رواق

التي أدلت بعطائها أهم النصائح التي تثمر هذا البحث، دون أن ننسى أساتذة قسم اللغة العربية فلهم مني أسمى آيات التقدير والامتنان.

مقدمة:

اهتم الباحثون والدارسون بالأدب ونهلوا من كل منابع العلم والمعرفة واستنطقوا نصوصا إبداعية علها تجيبهم عن خفايا يجهلها بعضهم والكشف عما تحيله لغة هذه النصوص وما يتداخل بينها وبين أصحابها وبيئتهم، وقد جاء التركيز على المكان نظرا لما يتمتع به من أهمية في أجناس الأدب نثرية كانت أم شعرية، بعد انتقاله من مدلوله الشائع إلى مدلول فني يبرز جمال النص، وتنوعت الدراسات التي تهتم بالمكان خصوصا في أشعار العرب، فالمعروف أن العرب من أكثر الشعوب تعبيرا عنه وإحساسا به، وقد ربِطتْ دراستنا بجانب من جوانب المكان عند فئة من الشعراء عرفوا بصعاليك العرب وكان موضوع بحثي موسوما " بالاغتراب المكاني في شعر الصعاليك"، الذي أسند لي من قبل فريق التكوين، هذا الموضوع الذي عالج مجموعة من قضايا تعرض لها الكثير من الشعراء العرب خصوصا في العصر الأموي الذي شهد بروز أنات الاغتراب في قصائدهم وتعدد ذكرهم لأسماء الأماكن التي تساهم في ثراء النص الأدبي كما تحافظ على التراث العربي.

ومن هنا نصل إلى عدة اشكالات لزم البحث فيها ما مفهوم الاغتراب؟ وفيما برزت عوامل اغتراب الصعاليك في العصر الأموي؟ وإلى أي مدى تجلت أنات الاغتراب المكاني في قصائدهم؟ وكيف ساهم البعد عن المكان في إثارة لواعج الصعاليك؟

ولكي نجيب على هذه التساؤلات اقتضت طبيعة الموضوع أن نتبع المنهج الوصفي التحليلي الذي يسمح باستقراء النصوص الشعرية ويكشف عن مظاهر الاغتراب البارزة فيه، كما تم تقسيمه إلى مدخل تسبقه مقدمة وهي تمهيد عام عن الموضوع وفصلين، فجاء المدخل النظري معنونا بالاغتراب مفهومه ومظاهره، أما الفصل الأول فقد تمحور حول عوامل اغتراب الصعاليك في العصر الأموي، ليكون الفصل الثاني مخصصاً لتجليات الاغتراب المكاني في شعر صعاليك العصر الأموي وأعقبنا موضوع دراستنا بملحق يتناول التعريف بحياة الصعاليك وذيلناه بخاتمة وهي

حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وقد ربطنا دراستنا بعصر واحد هو العصر الأموي وذلك لضبط الدراسة، فالصعاليك برزوا في العصر الجاهلي واستمروا في العصور التي تلتها.

وعن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع فهي كثيرة نذكر منها:" الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره" للباحثة **روضة بنت بلال بن عمر المولد** رسالة قدمت في جامعة أم القرى بالسعودية لنيل درجة الماجستير وتناولت فيها مظاهر الاغتراب في حياة ابن دراج، كما بحثت **بن عيش زهرة** في الموضوع ذاته في رسالتها المعنونة " بالغربة والاغتراب في رواية طعمة فرمان" لنيل درجة الماستر في جامعة بوضياف المسيلة، دون أن ننسى الدراسات التي تناولت موضوع الصعاليك نذكر على سبيل المثال: أطروحة الدكتوراه للباحث **صغير بن غريب** المعنونة" رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث هجري" المقدمة بجامعة أم القرى بالسعودية والتي تحدث فيها عن ماهية الصعلكة ونشأتها من العصر الجاهلي حتى العباسي، كما تناول الطالب **أحمد سلمان مهنا** في موضوع رسالته لنيل درجة الماجستير بجامعة غزة الموسومة " بالمرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام" أما عن موضوع الاغتراب في شعر الصعاليك فقد ورد في مقال نشر في مجلة الثقافة والتنمية لصاحبته **سعدية حسين البرغثي** في جامعة بنغازي، تناولت فيها" الاغتراب في شعر صعاليك العصر الجاهلي" وكذلك أطروحة دكتوراه للباحث **فتحي أرشيد شديفات** بالأردن عن " مظاهر الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص إلى نهاية العصر العباسي الأول"، ولم يسعفنا الحظ الحصول عليها سوى ما عرجه الباحث في فهرس الأطروحة الذي تناول فيها ماهية الاغتراب والغربة، وماهية الصعلكة واللصوصية ودرس الاغتراب الاجتماعي والاقتصادي والمكاني لشعر الصعاليك واللصوص.

وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: ديوان القتال الكلابي تحقيق **احسان عباس**، ديوان مالك بن الريب تحقيق **نوري حمودي القيسي**، ديوان أشعار اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي **لمحمد**

نبيل الطريفي، كما استفدنا من مراجع مساعدة نذكر منها: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي للكاتب **لزهر مساعدية،** ودراسات في سيكولوجية الاغتراب للكاتب **عبد اللطيف محمد خليفة،** والشعراء الصعاليك في العصر الأموي **لمحمد رضا مروة.**

ولا ننكر أنه لم تواجهنا صعوبات في هذا البحث اعترضت طريقنا منها صعوبة التنقيب في دواوين الصعاليك عن أنات الاغتراب المكاني ومظاهر الشوق والحنين للوطن والديار، كما ورد اختلاف في بعض أبيات شعر الصعاليك من مصدر لآخر فوجب التدقيق بكثرة، وكذلك صعوبة مفهوم الاغتراب في حد ذاته نظراً لتعدد مجالاته ودلالاته.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل للدكتورة الأستاذة المشرفة حورية رواق التي لم تبخل علينا بنصائحها طوال فترة البحث، كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة عباس لغرور الذين عرفونا بعالم الأدب العربي، كما نقول إن وفقنا ربي فهو من مشيئته وإن أخطأنا فهو عيب من عيوب البشر إذ لا كمال إلا لله وحده، ونتمنى أن ينال إعجابكم ويفيد قراء الأدب ولغة الضاد.

تُعد ظاهرة الاغتراب من القضايا التي تعرضت لها البشرية على مرِّ العصور وتعاقب الأجيال، فقد عانى الكثير من الأفراد البعد عن الديار والأهل والأحباب، والنزوح عن الوطن لأسباب تتفاوت درجاتها لدى كل فرد بعينه، ما رسّخ في عقولهم الإحساس بالنقص والعجز والتحسّر عما تركوه خلفهم وعن طول النوى.

و اعتبر بعض الدارسين أن أولى لحظات الاغتراب نشأت مع خلق **آدم** عليه السلام في الجنة بهبوطه منها إلى الدنيا، وهذا الهبوط جعله يحن إلى الوطن الأصل (الجنة) فهو ملجؤه الأول وملاذه الأخير الذي يهوى العودة إليه ويتمنى أن ينعم بسكناه كل بنيه من جنس البشر، قال تعالى:(وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ .) [1]

مفسرين شعوره بالاغتراب راجع إلى هذا الهبوط لارتكابه وحواء المعصية، رغم استقرارهم في الأرض اعتبروا أنها غربة عاشها أول إنسان على أديم الأرض، وليس حنينه إليها فقط.

فالاغتراب في بداياته يحمل بعدا دينيا الذي يعني به الانفصال عن الله بالمعصية والخطيئة، واستمّد هذا المعنى من قصة **آدم** عليه السلام وخروجه من الجنة بارتكابه وحواء المعصية وجاءت هذه الفكرة لأول مرة على يد الفيلسوف العربي الصوفي **ابن عربي** الذي اعتبر هذه القصة أول غربة اغتربها الإنسان في تاريخه [2]، وقد كتب في "الفتوحات المكية" يقول ما نصه:" إن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة"[3]

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 35_36.

[2]– نسرين محمود الشرادقة، الاغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م، ص: 23.

[3]– محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تح: عثمان يحيى، ابراهيم مدكور، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1985م، ص: 696.

فابن عربي يبيّن أن أول غربة اغتربها الإنسان هبوطه من الجنة بعد إشهاده بالربوبية، وثاني غربة اغتربها الإنسان وهي خروجه من رحم الأم بعد الولادة إلى عالم الدنيا الموحش، وبما أن الإنسان مرتبط بالغربة والاغتراب منذ الأزل فهذه المعاناة نجدها حاضرة معه نتيجة أنه دائم الرحيل والترحال من بيئة إلى أخرى باحثا عن الأمان والمكان الذي يفرض له الاطمئنان.

الاغتراب كمصطلح تضاربت فيه التعريفات لما يكتنفه من غموض ولتعدد الدارسين له، فكل منهم له بعد دلالي ينتمي إليه، إلا أن هذا لا يعني أنه لا يمكن تحديد معنى الاغتراب، فكل التعريفات تدور في فلك واحد يجمع بين هذه المفاهيم (الشعور بعدم الانتماء، الانعزال، الوحدة، الحنين إلى الوطن، النزوح، البعد، الإحساس بالنقص وغيرها.) وهذا ما سنراه في كتب المعاجم وقواميس اللغة.

1. مفهوم الاغتراب من المنظور العربي:

أ. **لغة:** جاء في لسان العرب في مادة غَرَبَ: والغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرَبَ عنّا يَغْرُبُ غرْبًا، وغرَّبَ، وأَغْرَبَ، وغربّهُ، وأَغْرَبَهُ: نحَّاهُ، وفي الحديث: أن النبي ﷺ أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يُحصن، وهو نفيه عن بلده. [1]

"والغَرِبَة والغَرْبُ: النوى والبعد، وجاء أيضا: والغُرِبَة والغُرْب: النزوح عن الوطن والاغتراب: قال **المتلمس:**

ألا أبلغا أفنــاءَ سعدِ بنُ مـالِك *** رسالةً من قد صَار في الغربُ جانبهُ

والاغتراب والتغرُّب كذلك بمعنى: تغرّب، واغترب، وقد غربه الدهر، وغريب: بعيد عن وطنه؛ الجمع غرباء، وفي الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن الغرباء، فقال:" الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي"، وفي حديث آخر:" إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء"؛ أي أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أمل له عنده،

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت_لبنان، ط1، د.ت، ص: 638.

لقلة المسلمين يومئذ؛ وسيعود غريبا كما كان أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء."[1]

وجاء في معجم العين من فصل باب الغين: والغربة: الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عنّا يَغْرُبُ غَربًا أي تنحى، والغربةُ: النوى البعيد، والغريب: الغامض من الكلام[2]، وجاء في قاموس المحيط من مادة غَرُبَ: الغَرْبُ: المغربُ والذهاب والتنحي، وأول الشيء، وَحَدُّهُ والنوى والبُعدُ كالغربة، وقد تغرّبَ وبالضّم: النزوح عن الوطن، كالغربة والاغتراب والتَّغربِ، وغَرَبَ، غاب، وبَعُدَ واغتربَ: تزوج في غير الأقارب. [3]

ومن هنا نلاحظ أن كلمة اغتراب في قواميس اللغة والمعاجم مرتبطة بالغربة ولا تخرج عنها، ومن خلال هذه التعريفات لكل من لسان العرب ومعجم العين وقاموس المحيط، نجدها متشابهة في معنى الاغتراب وتدور كلها في حقل واحد ألا وهو (البعد والنوى، النزوح عن الوطن، التنحي والذهاب والغياب).

ب. اصطلاحا:

أولا. عند القدماء: حظى مفهوم الاغتراب باهتمام العلماء والفقهاء العرب المسلمين ولعلّ أهمّ من خصّه بالدراسة –بعد أن عاشه– **أبو حيّان التوحيدي**، والذي استمدّ آراءه من تجربته الحياتية، أين أمضاها بائسا فقيرا، منبوذا، جاب البلدان وقصد الأمراء، ولم يحظ بطائل. [4]

كان رأيه في موضوع الغريب والغربة في كتابه " الإشارات الإلهية" حيث قال:

"إن الغريبَ بحيثُ ما حطّتْ ركائِبُهُ ذَليل

ويدُ الغريبِ قصيرةٌ ولسانُه أبدًا كليل

والناسُ ينصُر بعضُهم بعضًا، وناصِرُه، قَليل

---

[1]– المصدر السابق، ص: 638_639.

[2]– أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج4، دار مكتبة الهلال، د.ب، د.ط، د.ت، ص: 410.

[3]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة_مصر، د.ط، 2008م، ص: 1178.

[4]– لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر، د.ط، 2013م، ص: 51.

قد قيل: الغريب من جفاه الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب، بل الغريب من نودي من قريب، بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب بل الغريب من ليس له من الحق نصيب"[1]

ويقول أيضا:" يا هذا: الغريب من غَربت شمس جماله، واغترب من حبيبه وعذاله وأغربَ في أقواله وأفعاله، وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسربالـه، يا هذا الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة، ودلّ عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة حد الفينة، الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا، الغريب من إذا رأيته لم تعرفه وإن لم تره لم تستعرفه، أما سمعت القائل حين قال:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

هذا وصف رجل لحقته الغربة، فتمنى أهلا يأنس بهم، ووطنا يأوي إليه ونديما يحل عقد سره معه، وكأسا ينتشي منها، وسكنا يتوادع عنده ... إلا أن يقول: وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه."[2]

ومن خلال ما أدلى به **أبو حيان التوحيدي** عن موضوع الغريب والاغتراب نلاحظ أنه لامس كل معانيه، وأجاد فيه بطريقة واعية، لأن من يعيش الغربة ويلامسها وحده من يستطيع التعبير عنها بكل صدق، وبيّن أن الغريب في وطن ليس بوطنه لا يأخذ بأقواله وبأفعاله ومن ناصره فهو قليل، لذا فإن الغريب عن أرضه يبقى غريب، وما للغريب من حبيب وهو في هوى أرضه غريق يحن لملامسة ترابها الرخو الرقيق، كما بيّن **أبو حيان التوحيدي** أن أصعب غربة اغتربها الإنسان وأغرب الغرباء من هو في وطنه ويحس بالعزلة والوحدة، فالمستمع لكلام الغريب أو القراءة لمن عاش الغربة

[1]- أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح: وداد القاضي، ج1، دار الثقافة، بيروت_لبنان، ط2، 1982م، ص: 81.

[2]- المصدر نفسه، ص: 82.

يُدرك أزيزه من بعيد، كما أن **أبو حيان التوحيدي** قد أجاد في تبيان معنى الاغتراب مقارنة مع علماء العرب القدامى.

ثانيا. عند المحدثين:

اهتم العربي القديم بمعاني الاغتراب فحاول أن يشرحها ويبيّن محتواها ويذكرها في أشعاره محاولا أن ينفس عن كربه، وخير مثال على ذلك ما نلتمسه في مطلع معلقة **لبيد بن ربيعة**، فالشاعر العربي الجاهلي بكى الديار والدمن والأطلال وحنّ إلى الماضي حيث يقول **لبيد بن ربيعة:**

" عفتْ الديَار محَلها فمُقامُها بمنًــى تأبد غَولـُها فرجـَامُها
فمَدافعُ الريانِ عُرِيَّ رسمُـها خلقًا كما ضَمِن الوحِيُّ سِلامُها
دِمن تَجرم بعدَ عَهْد أنيسهَا حِججٌ خَلونَ حَلالُها وحــَرامُها"[1]

فهذه المقدمة الطللية لمعلقة **لبيد بن ربيعة** تبرز شدة الشوق والحنين لأهلها وسكانها الذين ارتحلوا عن هذه الديار والبلاد، وتذكر **لبيد** لتلك الجبال العامرة التي أضحت اليوم غريبة تعاني وحدتها.

وليس هذا أن الاغتراب لامس الشاعر العربي الجاهلي فقط وإنما حتى باقي العصور التي تلتها كالعصر الإسلامي (صدر الإسلام) والأموي والعباسي وغيرها، ونتيجة للتشبث بالمكان ألَّف العرب كتبا عديدة في الحنين إلى الأوطان.

ومن هذه المؤلفات:

1-" حنين الإبل إلى الأوطان" لربيعة البصري (55هـ)
2-" الحنين إلى الأوطان" لعمرو بن بحر الجاحظ (255)
3-"الشوق إلى الأوطان" لأبي حاتم السجستاني (255)
4-"الحنين إلى الأوطان" لموسى بن عيسى الكسروري
5-"أدب الغرباء" لأبي الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (362هـ). [2]

---

[1]- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت_لبنان، د.ط، 1992م، ص: 89_90.

[2]- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي (أطروحة دكتوراه)، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص: 37_38.

والاغتراب باعتباره شائع منذ القدم قد تميز بدراسته في العصر العربي الحديث أيضا، ترى **مها عبد الله الزهراني** أن "الاغتراب نقيض الاقتراب، وهو الابتعاد عن الأهل والديار والأحباب"[1]، فمن هنا نرى أن الاغتراب عندها مرتبط بالمكان ومدى بعده وقربه.

ويرى **نبيل راغب بأن:**" الاغتراب هو حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في وطنه وبين أهله أم كان بعيدا عنه"[2]

فيتبين من كل هذا أن الاغتراب عند العرب المحدثين تنوع وأخذ دلالات متعددة نتيجة تأثرهم بفلسفات الغرب الداخلة على ثقافتهم، وأدركوا أن الاغتراب وملازمته للإنسان ما هو راجع إلا إلى العامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي والسياسي والنفسي والمكاني وغيرها من العوامل، وكما يتبين من مفهوم **نبيل راغب** للاغتراب حين ربطه بالحالة النفسية الملازمة للإنسان، سواء بين أهله وبيته ووطنه أو خارج من هذا الإطار، فيبدو أن ما هذا الاغتراب إلا اغتراب عن الذات، أو الاغتراب الذاتي، وهذا مظهر من مظاهر الاغتراب التي سنراها فيما بعد.

ولصعوبة الاغتراب والغربة، فإنها لا تنسجم مع الطبيعة البشرية التي فطر الله الناس عليها، ولذلك فإن العرب من أجل تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب. [3]

وهناك من العرب المحدثين من يرى أن المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للاغتراب واحد، والغربة والاغتراب كلها في اللغة واحد وهو الذهاب والتنحي عن

---

[1]– محمد موسى البلولة الزين، الاغتراب والحنين في الشعر المهجري، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في الأدب العربي، كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة الخرطوم، 2010م، ص:9، نقلا عن: مها عبد الله سعيد الزهراني، الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين، ص: 16.

[2]– لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص: 63. نقلا عن: نبيل راغب: مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، العدد: 96، ص: 47.

[3]– مسعود بن ساري، جماليات المكان في حاضرة تلمسان، منشورات بن سنان عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان_الجزائر، د.ط، 2011م، ص: 190.

الناس[1]، مثل ما يرى **شيخ الإسلام الهروي الأنصاري**، يضع الغربة والاغتراب بمستوى واحد، أي أننا نستطيع أن نحل مصطلح الاغتراب المكاني بدل الغربة المكانية والاغتراب الروحي محل الغربة الروحية وهكذا. [2]

إن مفهومي الغربة والاغتراب في معاجم وقواميس اللغة العربية واحد وكذلك المعنى الاصطلاحي، لكن هناك فرق بين المصطلحين **فما هو؟**

الغربة تعني البعد في دلالتها، وذلك ما يوحي إليه مفهوم الاغتراب في بعض دلالاته[3]، ويمكن القول إن الفرق بينهما، كما يبدو هو:

إن الغربة خارجية، تتمثل في الأعم والأغلب في معايشة لمكان غريب، أو لما يشتمل من أشياء أو شخوص غريبة، أما الاغتراب؛ فهو حالة داخلية وتشير إلى معاناة نفسية لشعور باطني، في داخل ذات الإنسان وهي ذات طابع شمولي، بمعنى أنها يمكن أن تراود الإنسان في كل مكان وفي كل زمان، وأسبابها متعددة، لا تقتصر على سبب واحد. [4]

ومن هنا نرى صعوبة تحديد الفرق بين الغربة والاغتراب لأن هناك من الدارسين الذين لا يفرقون بينهما، لكن يبقى الفرق الجوهري بينهما أن الاغتراب مرتبط بالشعور سواء كان داخل وطنه أو خارجه، أو بعيد عن أهله وأحبائه أو قريب منهم لكن الغربة مرتبطة بالحيز الجغرافي والمكاني.

---

[1]– محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان_الأردن، ط1، 2013م، ص:14.

[2]– المرجع نفسه، ص: 14.

[3]– أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م، ص: 14.

[4]– ميساء نبيل عبد الحميد، الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان)، موقع النقد العراقي، ت: 2017/05/06، 10 :00H، 2018/02/20، 11 :00H، www.alnaked-aliraqi.net/article/41808.php

2. الاغتراب من منظور غربي:

الأصل الذي اشتقت منه الكلمة الإنجليزية Alienation، أو نظيرتها الفرنسية Aliénation، الدالة على الاغتراب، هو الكلمة اللاتينية Alienatio، وهي اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني Alienare، بمعنى ينقل أو يحوّل أو يسلم أو يبعد، وهذا الفعل مأخوذ بدوره من كلمة لاتينية أخرى Alienus بمعنى الانتماء إلى الآخر. [1]

الاغتراب مفهوم يتمتع بحيوية عالية في الفكر الديني المسيحي، واستمر كموضوع يجذب إليه الكثيرين من المفكرين في الحضارة الغربية، وبعد أن كانت التفسيرات القديمة لهذا المفهوم تنطلق من الأسس الغيبية والروحية صارت مع مرور الزمن تعتمد على عناصر الواقع الاجتماعي في معالجة وتحليل هذا المفهوم. [2]
وهذا ما سنراه من فلاسفة وعلماء الغرب الذين ساهموا في تفسير مفهوم الاغتراب.

أ- الاغتراب عند فريديريك هيجل (1770م_1831م):

هيجل هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب له دلالته، وهذا ما قاله **محمود رجب** في دراسته لسيرة مصطلح الاغتراب حيث قال:" إن **هيجل** هو أول مفكر يستخدم في مؤلفاته كلها تقريبا مصطلح الاغتراب على نحو منهجي ومفصل، بل لقد استعمله في عنوان لصفحات، تزيد على المائة، في كتابه الأول (ظاهريات الروح)، الذي نشره عام 1807م، ويقول هذا للعنوان:" الروح المغترب عن ذاته: الحضارة (الثقافة)، وبذلك تحول الاغتراب على يديه من مجرد إشكال يعانيه الإنسان في عصور الأزمة والقلق أو مجرد فكرة ترفق في أذهان بعض المفكرين، أو كلمة ترد في هذا المؤلف أو ذلك تحول إلى "مصطلح"، فأطلق عليه الباحثين أنه أبو الاغتراب". [3]

فهنا نلاحظ أن **هيجل** جعل مفهوما بارزا للاغتراب، ليس كسابقيه الذين أهملوا دراسته كمصطلح قائم بذاته وله دلالاته، واعتبروه شعور يحدث في النفس الإنسانية

---

[1]- محمود رجب، الاغتراب"سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط4، 1993م، ص:31.

[2]- قيس النوري، الاغتراب-اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مج 10، العدد1، وزارة الإعلام، الكويت، 1979م، ص: 19.

[3]- محمود رجب، الاغتراب "سيرة مصطلح"، ص: 13.

الإحساس بعدم التوازن من خلال الضغوطات التي تمر بها، فما هي رؤية **هيجل** لمفهوم الاغتراب؟

الاغتراب عنده "عملية تخارج الروح وتحققها في أضرب الحضارة المختلفة من دين إلى فن إلى سياسة إلى فلسفة وكذلك تحققها في الطبيعة بحيث تصير هذه الأشياء جميعها وكأنها أمور أخرى غريبة عن الروح"[1]

وذلك يعني أن للاغتراب عند **هيجل** معنى مزدوجا، الأول إيجابي (إبداعي) ويتمثل في تخارج وتجليه على نحو إبداعي في الطبيعة أولا، وفي أضرب الحضارة المختلفة ثانيا، فهو في جوهره خلق وإبداع لشيء آخر يكون عاملا ضروريا للمعرفة والتحرر، فقد ميز بين معنيين للاغتراب على الرغم من ارتباط أحدهما بالآخر، الأول: الاغتراب بمعنى التخارج أو التموضع، وهو اغتراب ضروري ايجابي يحفز على الإبداع والخلق في العمل، أما الثاني فبمعنى الانفصال أو الانقسام وعدم التعرف إلى الذات وهو اغتراب سلبي. [2]

وكخلاصة لمفهوم الاغتراب عند **هيجل**، أنه يحمل دلالتين الأولى ايجابية والثانية سلبية، فأما الأولى فهي تساعد من خلال إخضاع الفرد للعمل بالتطوير والرقي بالحضارة، دون الاهتمام بذاتيته وما تطلبها، لهذا أطلق عليها **هيجل** تخارج الروح وتحققها في الحضارة والطبيعة، أما الثانية فيقصد بها الانفصال عن الذات وعدم تحقيق مبادئها ومقتضياتها، فالمجتمع قام بسلب حريته من خلال القوانين التي تحكم الجماعة، ويمكن القول أن هذا الاغتراب ما هو إلا انفصال الذات الإنسانية ككائن روحي واندماجه مع المجتمع وتسليمه وتخليه عن مطالبه ومبادئه الشخصية واستقلاليته، ولهذا قال **هيجل** أن هذا التخارج يجعل من الروح تشعرها بأمور غريبة عنها.

---

[1]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجر الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص: 21.

[2]- المرجع نفسه، ص: 21.

ب- الاغتراب عند كارل ماركس (1818م_1883م):

بعد موت **هيجل** عام 1831م بسنوات قلائل حول **ماركس** مفهوم الاغتراب متأثرا به و**بفيورباخ** من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي اقتصادي، من خلال كتابة مقالات 1844 الاقتصادية والفلسفية التي بلور فيها أسس مفهومه الجديد، وقد تجاوز المفاهيم المثالية للاغتراب في الفكر الأوروبي، وحلله في سياقه التاريخي وفي العمل في المجتمعات الرأسمالية والأوضاع اللاإنسانية [1]، ليظهر أن الاغتراب عنده حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، و معادية له، وتحديدا قال: إن العامل في ظل النظام الرأسمالي يهبط إلى مستوى السلعة ويصبح حقا أكثر السلع تعاسة، وتزداد تعاسته بازدياد قوة إنتاجه و حجمها، يصبح العامل سلعة رخيصة بقدر ما ينتج من سلع وبتزايد قيمة عالم الأشياء تتدنى قيمة الإنسان نفسه. [2]

ومن هنا نرى أن الاغتراب عند **كارل ماركس**، ربطه بالعمل ومدى إنتاج ودخل العامل، حيث يعتبر أن الإنسان في هذا المجتمع الذي لا أهمية لمشاعره الإنسانية بقدر أهمية المال واعتباره هو الأساس الذي يزداد بكثرة الجهد والاقتصاد، وإن العامل في خِضَم النظام الرأسمالي يدركه الاغتراب نتيجة عوزه وفقره، وعليه أن يعمل ليسد رمقه وحاجياته، فتودي بالعامل الإحساس بالاغتراب لأنه يرفض هذا الواقع في ذاته فهو غريب عن متطلباته، وهو بطبعه لا يحبذ هذا الجهد من العمل، كذلك إن هذا العامل غريب عن منتجاته التي بذل فيها جهدا لأنه لا يملكها وإنما يملكها غيره، ولهذا اعتبره **ماركس** كأنه سلعة قد تزداد قيمتها وقد تنقص بحسب قدرة الإنتاج، ومع تطور العالم يستغنى عن اليد العاملة وتصبح الآلة ذو أهمية وقيمة أكثر من الإنسان، إلا أن تذبل القيم الأخلاقية والإنسانية ليصبح عالما همه الثروة والمال.

---

[1]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص: 39.

[2]- المرجع نفسه، ص: 39.

ج – الاغتراب عند سيغموند فرويد (1856م_1939م):

يذكر **فرويد** أن كل فرد في الواقع هو عدو الحضارة ذلك أن الحضارة هي مصدر اغترابه وفي الحقيقة لم يعالج **فرويد** مفهوم الاغتراب كمفهوم مستقل بل تناوله في سياق أفكاره حول قلق الحضارة ونشوء العصاب، وما انطوت عليه نظرية التحليل النفسي عموما، محاولا استخدام لفظ الشعور بدلا من الاغتراب. [1]

ففكرة الاغتراب عند **فرويد** أن الحضارة تمنعه من تحقيق رغباته المكبوتة وغرائزه فتؤدي به إلى القلق والاضطراب، فيكون غريبا عن حياته وعواطفه، لأن بالحضارة ورقيّها وإعمالها للعقل تتحكم في العلاقات الاجتماعية فتسبب تعاسة للإنسان بربط هذه المكبوتات وقد تؤدي به إلى عقد مرضية ونفسية مع مرور الوقت واستحواذ هذه الفكرة داخله تؤثر على حياته سلبا.

ومن هنا رأينا أن الاغتراب اهتم به العلماء والفلاسفة المحدثين والقدماء، العرب والغرب، فحاولوا استنطاق معنى الاغتراب وشرحه ومعالجته، خصوصا عندما تجسد في الفن والإبداع فاستلزم على القراء والدارسين تفسيره، لكن يبقى كل من الاغتراب والغربة درجتها وواقعها وتجربتها، على كل فرد، وعلينا أن نتمعن ما تجسد عنها في الفنون والآداب، ونحاول معالجتها ومحاربتها إن هي احتلت كياننا وأبعدتنا عن ذواتنا، ونحاول أن نلتمس حلول يقينية للفئة المتعرضة للاغتراب.

3. مظاهر الاغتراب:

أشار **ملفن سيمان** (1990_1959م **Seeman**) إلى خمسة مظاهر وأبعاد لمفهوم الاغتراب وهي: (العجز، اللامعنى، اللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، واغتراب الذات). [2]

---

[1]– دانيال علي عباس، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي)، قسم علم النفس، جامعة دمشق، 2016م، ص: 33.

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة_مصر، د.ط، 2003م، ص:35.

أ. **العجز:** هو شعور الفرد باللاحول واللاقوة، وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره، فمصيره وإرادته ليسا بيديه بل تحددهما عوامل وقوى خارجة عن إرادته الذاتية، كما لا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أو صنع القرارات المصيرية الحياتية، وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع. [1]

من خلال هذا المظهر يتبين لنا أن العجز هو إحساس بانعدام القوة وسيطرة قوى خارجية في أفعاله وآرائه فتؤدي به إلى عدم الثقة في النفس من خلال عدم السماح له بالتأثير في المواقف الاجتماعية أو بناء ذاته.

ب. **اللامعنى:** يعرّفه **سيمان** " بأنه يعني توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به وما يتخذه من قرارات، وبوجه عام يرى الفرد المغترب وفقا لمفهوم اللامعنى أن الحياة لا معنى لها لكونها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، وبالتالي يفقد واقعيته ويحيا باللامبالاة." [2]

ومن خلال مفهوم **سيمان** للامعنى، يتبين من رأيه، أنها فقدان المعنى في الحياة فيعيش الفرد فيها بدون هدف ولا اهتمام لما حصل أو سيحصل، ويفقد الأمل في نظرته للمستقبل فيعيش في الهامش واللامبالاة، من طرف الفرد المغترب.

ج. **اللامعيارية:** عرّفها **سيمان** هي:" الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا، وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع". [3]

---

[1]– المرجع السابق، ص: 36.

[2]– المرجع نفسه، ص: 37.

[3]– المرجع نفسه، ص: 38.

فاللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب تؤدي بالفرد إلى التمرّد على مبادئ وقوانين الجماعة نتيجة لما رآه من فئات معيّنة تستخدم أساليب غير مشروعة في تحقيق مصالحها وأهدافها، فتولِّد في نفسه الشك وعدم الثقة في الغير نتيجة لفقدان هذه المعايير جوهرها، فيلجأ هذا الفرد أيضا بعدم اتباع أي ضوابط وقواعد تنظم سلوكه وما تقتضيه الجماعة من تقاليد وأحكام تربطها.

د. العزلة الاجتماعية: ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره. [1]

فالعزلة قد تكون رغبة الفرد بحد ذاته أن يبتعد عن الجماعة وذلك لعدم توافقه أو تقبّله لآراء الغير، أو قد تكون حبّا منه في التأمل في الكون وتدبره، والبعد عن جنس البشر الذي يُولِّدُ له عدم الإحساس بالراحة النفسية نتيجة لفوضوية المجتمع، لكن العزلة حتى وإن كانت لها سمة إيجابية بالنسبة للفرد إلا أنها لا تدوم فهي تشعره بالاكتئاب والوحدة، لعدم ترابطه مع المجتمع وعدم تكوين علاقات بينهم، والإحساس الدائم بالرفض وأن المجتمع لن يتقبله وهذه الأخيرة لها سمة سلبية على الفرد.

هـ. الاغتراب عن الذات: عرّف **سيمان** الاغتراب عن الذات بقوله:" بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عمّا يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدم له الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف، وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافأة ذاتيا". [2]

وهذا المظهر هو من أصعب المظاهر التي يمرّ بها الإنسان المغترب في ذاته لأنها ترهقه نفسيا، فهذا الاغتراب ليس كما عرّفناه سابقا أن ينعزل عن مجتمعه أو يبتعد عن وطنه، إنما هو بعيد عن كيانه وجوهره وحاجاته ورغباته التي لم يحققها، فهو في صراع دائم مع ذاته لعدم تقبلها لما آلت إليه الآن في واقعه.

---

[1]– المرجع السابق، ص: 39.

[2]– المرجع نفسه، ص: 40.

ولا بد له أن يحاول قهر هذا الإحساس، ولتحقيق ذلك ثمة اتجاهان:

- **الاتجاه الأول:** يتجاوز فيه الإنسان واقعه ويتمسك بحريته، فيخلق لنفسه عالما جديدا يعبر عن قدراته الحسية والعقلية الأصيلة، ويستعيد وحدته مع العالم دون تنازل عن ذاته الأصيلة. [1]

- **الاتجاه الثاني:** إذا لم يستطع الإنسان تحمّل العيش وحيدا، فيستسلم ويخضع لسلطة هذا المجتمع سواء كانت سلطة سياسية، أم سلطة عادات وتقاليد وأخلاق سائدة فيه، ليتحوّل هذا الإنسان إلى آلة بشرية، فيصبح مغتربا عن ذاته الأصيلة مكتسبا ذاتا جديدة زائفة، يُمليها المجتمع ويصبح بذلك متشيئا. [2]

وهذه المظاهر التي حددها **ملفن سيمان** نرى أن بعضها راجع إلى أسباب اجتماعية تؤثر في المغترب وليس له يدٌ فيها، وأخرى ترجع إلى الفرد المغترب في حد ذاته كأن يستسلم ويرضخ لما يمليه عليه واقعه أو ينعزل عن مجتمعه ويقبع في وحدته أو يضيق من حاله في عدم تحقيق مبتغاه، فيصبح كائنا بلا هدف ويتمرد بذلك عن ماضيه وعن قبيلته، ويعني بهذا كله أنها ترجع إلى أسباب نفسية أيضا.

[1]- لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص: 101.

[2]- المرجع نفسه، ص: 102.

عرف العرب منذ القدم ظاهرة خطرة في حياتهم اليومية تستوجب منهم محاربتها ومحاولة إضمارها من الساحة الاجتماعية والسياسية، وهذه الظاهرة عُرفت بظاهرة الصعلكة أو التصعلك، حيث نشأت في البيئة العربية الجاهلية لأسباب عدّة كالفقر ونبذ أبناء الحبشيات وأغربة السود وغيرها من الأسباب، ما أدى بالفتيان الصعاليك إلى الخروج عن عرف القبيلة والتمرّد عليها، لما شهدوه من تنكيل وتهميش من طرف قادة القبيلة وحلفائها، إلا أن هذه الظاهرة سرعان ما تعود من جديد في تاريخ الدولة الأموية الإسلامية، رغم أن الإسلام قد حارب هذه الظاهرة من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية وتنوير عقول أفرادها وشملهم في أمّة واحدة تجمع بينهم الألفة والمحبة.

لقد استطاعت العقيدة أن تعلو على صوت الانتماء القبلي وأن تجمع طائفة كبيرة من أبناء قبائل ومواطن مختلفة حول مبدأ واحد من إيمان تمتزج فيه العقيدة بنظام الحكم والاقتصاد، وبناء المجتمع وعلاقة المسلمين بغيرهم من المجتمعات [1]، فلما جاء الإسلام ضعف شأن القبلية وحل محلّها فكرة الأمة، لقوله تعالى:(وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾). [2]

فرغم ما حققه الإسلام من صلح وتعاون ومزج بين المجتمعات وإعطاء كل ذي حق حقه تلاشت هذه الظاهرة وإن لم نقل بصورة كلية، وذلك بإطعام المسكين والعناية بحق اليتيم والتحرر من العبودية، فالإسلام يدعو للعتق وليس للرق وتشريع الزكاة كفرض على كل مسلم، لقوله تعالى:(۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا

[1]– عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت_لبنان، د.ط، 1987م، ص: 275.

[2]– سورة المؤمنون، آية: 52.

وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾). [1]

ورغم كل هذا وذاك شهد العرب في العصر الأموي، تفسخا واضمحلالا في لمِّ شمل القبائل، إذ عادت من جديد العصبية القبلية الجاهلية والنعرة الجاهلية التي حاربها الإسلام، ونتيجة لاختلاط الأعاجم مع العرب واتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية، بدأت تتلاشى بعض المبادئ الإسلامية، وشاع الترف واللهو والمجون والفساد الأخلاقي والديني وكثرة سفك الدماء، كما شاع أيضا الزهد والإملاق والفقر والمعاناة في فئات من المجتمع.

ونتيجة لمعاناة أهلها وجور سلطانها عمدت مجموعة من فتيان العرب وشبانها إلى النهب والغزو والتلصص والتشرد في الفلوات، كما كان أسلافهم في الجاهلية، ومن هذه الأعمال التي قاموا بها جعلتهم يخوضون في معاناة ثانية عرفت بظاهرة الاغتراب، **فما هي عوامل اغتراب الصعاليك؟ وإلى أي مدى ساهم الاغتراب في تعدد فئات الصعاليك في العصر الأموي؟.**

1. العامل السياسي:

قامت دولة الخلافة الأموية وأضحى **معاوية بن أبي سفيان** خليفة الأمة الإسلامية وقد دام حكمها إحدى وتسعين عاما هجريا، تسعا وثمانين عاما ميلاديا (41_132هـ/661_750م) تولى الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان بن محمد الجعدي. [2]

[1]– سورة التوبة، آية: 60.

[2]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت_لبنان، ط7، 2010م، ص: 15.

وفي هذه الفترة الزمنية التي عاشتها الخلافة الأموية عانت الكثير من الويلات لما لقيته من اضطرابات داخلية وخارجية، فعانى معها شعبها من تشرد وانزلاق، "فظهرت حركة الصعلكة في العصر الأموي، بل ظهرت فيه وقويت قوة شديدة، ولعل فساد الحياة الاقتصادية، واضطراب الأحوال السياسية، والتمسك بالروح الجاهلية من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة الصعاليك الأمويين". [1]

هذا وقد ساهمت الفتوحات الإسلامية في اتساع مساحة الدولة الأموية فدخل عدد كبير من الشعوب غير العربية للإسلام واختل التوازن بين الشعوب، فكان صعبا على الخلفاء توحيد القبائل العربية مع الأعاجم الأخرى، لأن كل أولوياتها السيطرة على الحكم.

وفي هذا الشأن يبين **حسين عطوان** أن ظاهرة الصعلكة برزت في العصر الأموي من الناحية السياسية بسبب أن الأمويين قربوا القبائل اليمنية، واستعانوا بأبنائها للقضاء على خصومهم السياسيين كالخوارج والشيعة والزبيريين، أما القبائل العدنانية فأبعدوها عن السياسة ولم يعتمدوا عليها. [2]

نحن نعلم أن الخلافة الإسلامية كانت عاصمتها الحجاز ومع مجيء **معاوية بن أبي سفيان** نقل الخلافة من الحجاز إلى دمشق وجعلها عاصمة الدولة الأموية ونتيجة لهذا التغيير ولّد فئات متعصبة للسلطة وغير قابلة للخلافة، خصوصا عندما قرر تولية ابنه **يزيد** الخلافة حين مرض وأحس بدنو أجله، وهذا القرار أغضب هذه الفئات بعدم انصياعهم لهذا الأمر.

---

[1]- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت_لبنان، ط2، 1981م، ص:65.

[2]- المرجع نفسه، ص: 58.

كانت أشد الهواجس التي تنتاب **معاوية** وتؤرقه أربعة من الزعماء هم عبد الله بن الزبير، والحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر [1]، وعندما ولّى **يزيد بن معاوية بن أبي سفيان** الخلافة في دمشق من (60-63هـ) لم يبايع أهل الحجاز **يزيد بن معاوية** (الحسين بن علي والزبير) [2]، ما أدى إلى إنفاق الكثير من الأموال على الجيوش لمحاربة هذه الفئات والأحزاب السياسية.

" وفي فترة حكم **عبد الملك بن مروان** (65-86هـ) شاعت أربع فئات إسلامية على الحكم:

1. فئة الأمويون الذين سيطروا على الشام ومصر.
2. فئة الزبيريين سيطروا على الحجاز والعراق.
3. جماعة شيعة العراق بزعامة **المختار بن أبي عبيد الثقفي**.
4. جماعة الخوارج بزعامة **نجدة بن عامر** زعيم خوارج اليمامة". [3]

من هنا نرى إن كانت الأحزاب السياسية قد رفضت هذه السلطة وتنازعت فيما بينها للقضاء عليها، وأدركت أن رأيها لا يأخذ به في زمام الحكم، والدولة الأموية لم تعتمد على مبدأ الشورى، بل عمدت على " سلطان الخلافة الوراثية " [4]، فانتفضت بالخروج منها إزاء عجزها في اتخاذ القرارات السياسية فأحست بنوع من الغربة، فما بالك بالصعاليك الذين نشأوا إلا نتيجة لهذا الاضطراب السياسي وعدم توفير العدالة بين الناس.

---

[1]- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص: 41.

[2]- المرجع نفسه، ص: 43.

[3]- ينظر: محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 1990م، ص: 49_50.

[4]- يحيي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، عمان_الأردن، ط1، 2008م، ص: 58.

وكان للسياسة الأموية المضطربة التي تنازع فيها الحكم أكثر من حزب، والتي كان الأمويون يتصدون فيها للقضاء على أعدائهم، أثر على بعض الصعاليك الأمويين المتمردين، فقد مضوا ينكرون على الخلفاء سياستهم الفاسدة، فهذا **مالك بن الريب** يعرض مكر الأمويين وتقلبهم ومجانبتهم للحق بقوله:

لَو كُنتُم تُنكِرونَ الغَدرَ قُلتُ لَكُـم *** يا آلَ مَروانَ جاري مِنكُم الحَكَمُ
لا كُنتُ أَحدَثتُ سوءاً في إِمارَتِكُم *** وَلا الَّذي فاتَ مِنِّي قَبلَ ينتقـمُ
نَحنُ الَّذينَ إِذا خِفتُم مُجَـلِّلَـــةً *** قُلتُم لَنا إِنَّنا مِنكُم لِتَعتـَصِمـــوا
حتى اذا انفرجت عنكم دُجُنَّتُـها *** صرتم كجرم فلا إل ولا رحـــم. [1]

وبظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي تمخض لون من ألوان الاغتراب، ألا وهو الاغتراب السياسي، وتجلى ذلك في السخط والعداء والثورة على بني أمية [2]، وهذا الاغتراب نجده بارزا بكثرة في الخطابات السياسية وفي الشعر السياسي، وفي شعر فتيان الصعاليك وأفرادها الذين تمردوا على السلطة.

ويقصد بالاغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية، فهو شعور المرء بعدم الرضا وعدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحكومية والنظام السياسي برمته، وشعور الفرد بأنه ليس جزء من العملية السياسية وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبارا [3]، الاغتراب السياسي ليس مرتبطاً بالقرارات السياسية والأمور السياسية فقط، وإنما يظهر هذا النوع من الاغتراب على كل اتجاه سلبي ويحاول أن يفرض سيطرته.

---

[1]– ينظر: حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص: 58_59.

[2]– لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص: 75.

[3]– جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، جامعة وادي سوف_الجزائر، 2012م، ص: 350.

والصعاليك السياسيين تمثلوا الحياة السياسية ومفاسدها تمثيلا دقيقا، فكانوا أشد حقدا، وعنفا، وتمردا وخطرا على الدولة، التي أصبحت هدفهم المباشر إذ كان هدفهم الدولة ذاتها، بعمالها وولاتها وخلفائها، لذلك نراهم قد شاركوا وبشكل فعال في الثورة ضد الظلم القائم. [1]

يتبين من خلال هذا أن الصعاليك السياسيين بعد معاناتهم من نظام الحكم وشعورهم بالاغتراب السياسي، وعدم مساعدتهم والرأفة بهم وبأهلهم حتى إن جدبت أرضهم، صاروا يطمحون في السلطة ويبتغون الغنى فتمردوا على الدولة الأموية، ونتيجة لهذا التمرد والمقاومة والثورة على الدولة الحاكمة، أصبح فتيان الصعاليك خطرا عليها فحاربتهم، وشرعت أعطيات لمن يقبض عليهم، ففروا من العدالة خوفا من الأسر، ومن هنا" تكون غربة الصعاليك واللصوص غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أو جور السلطان، وتكون الجبال والصحراء ملاذا آمنا لهم". [2]

وهذا ما كان من أمر **مالك بن الريب** (ت60هـ) الذي كان يخيّر حكام بني **مروان** بين أن ينصفوه أو أن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتنجيه من الذل وجور السلطان: [3]

فَإِن تُنصِفوا يا آلَ مَروانَ نَقتَرِب ***إِلَيــكُــم وَإِلا فَــأَذَنــوا بِبــعــادِ
فَإِنَّ لَنا مِــنكُم مــراحاً وَمَزحَـلاً ***بِعيسٍ إِلى ريــحِ الفَــلاةِ صَـوادي
وَفــي الأَرضِ عَن دارِ المَــذَلّـةِ ***مَذهَبٌ وَكُلُّ بِلادٍ أَوطَنَت كَبلادي [4]

[1]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 60.
[2]– يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص: 57.
[3]– المرجع نفسه، ص: 57.
[4]– المرجع نفسه، ص: 57.

2. العامل الاقتصادي:

سعت الدولة الأموية إلى تحصيل الأموال عن طريق التجارة والكسب من الفتوحات، كما فرضت الضرائب على الكفار إلا أن هناك من القبائل العربية في ظل الخلافة الأموية من عانت العوز والحرمان، رغم تمكن الدولة الأموية في الإنفاق على الرعية، **فما سبب حاجة بعض القبائل وأفرادها ؟**

لم تكن الأموال التي ترد إلى بيت المال قليلة بحيث لا يتمكن الخلفاء الأمويون من الإنفاق منها في سبيل الخير وعلى صالح الجماعة، فقد كان يحمل إلى بيت المال ملايين الدنانير من الصدقات والخراج، غير أن بعض العمال والسعاة الذين كانوا يجمعون هذه الأموال اتهموا بالخيانة وباستصفاء الأموال لأنفسهم. [1]

وهذه الأنانية التي برزت في العمال والسعاة جعلت من فقراء القبائل وشعرائها يشتكون للخلفاء ليعينوهم، فقد أنهكوهم بالجوع والحرمان والضرائب، ودليل ذلك يقول **زياد بن أبيه لمعاوية:"** دوخت العراق، وجبيت برّها وبحرها وغثها وسمينها، وحملت إليك لبّها وقشورها" [2]، فهؤلاء العمال والسعاة من تحصيلهم لأموال الدولة كونوا ثروات ضخمة.

وقد وردت في بعض كتب التاريخ والتراجم هذه الأخبار، فمثلا كانت ثورة **عبد الرحمان بن زياد** والي خراسان **لمعاوية** سنة ثمان وخمسين "ما يكفيه مائة سنة في كل يوم ألف درهم". وكان **عبد الله بن عبد الملك بن مروان** في أثناء ولايته على مصر

[1]– حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص:56.

[2]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 30.

سنة خمس وثمانين مشهورا بالجور كما كان يرتشي ويأخذ الأموال من الخراج و غيره.[1]

بالإضافة إلى هذا الاختلال الذي حدث في الحياة الاقتصادية في العصر الأموي كانت هناك أسباب أخرى ساهمت في عودة بروز ظاهرة الصعلكة. مثل: _ حاجة الخلفاء الأمويين إلى المال وإنفاقه على "دورهم وقصورهم وعطورهم وحواشيهم وأعوانهم وشعرائهم". وكان قسم منهم يذهب إلى تجهيز الجيوش تلو الجيوش للقضاء على الخارجين عليهم والثائرين بهم. [2]

_ استيلاء بعض أعداء **بني أمية** على بعض الأقطار واحتجاز الأموال عن الدولة في دمشق، وهذا ما حدث مع **عبد الله بن الزبير** الذي احتجز أموال الحجاز والعراق ومصر [3]، ومن المعروف تاريخيا أن القبائل وكثير من الأمصار انحازوا إلى خصوم البيت الأموي السياسيين، وأكثروا من الشغب والثورات، حتى نالوا الظلم والقسوة من العمال الذين كانوا يتشددون في استيفاء الصدقات والخراج منهم دون نظر إلى إملاقهم وجدب أرضهم، مثل قبيلة نمير، وقبيلة تميم، وأهل العراق كما حرم هؤلاء من أعطيات بيت المال.[4]

ومن خلال هذه الأسباب التي لحقت بالمجتمعات والقبائل العربية في العصر الأموي من اختلاس للأموال من طرف الولاة والعمال، وخدمة مصلحة الخلافة الأموية وإهمال للرعية، والتشديد عليهم بالضرائب حتى لو قحطت أرضهم أو جدبت، وبينما هم يعيشون في رخاء، وأفراد أخرى في جفاء وعذاب، إلى بروز فئتين من الفقراء.

---

[1]- المرجع السابق، ص: 32.

[2]- المرجع نفسه، ص: 29.

[3]- المرجع نفسه، ص: 29.

[4]- المرجع نفسه، ص: 33.

صعلوك فقير خامل كسول بليد ينتظر الصدقة من الناس، وصعلوك آخر فقير لكنه يسعى على رزقه ورزق غيره بالانتقام من أعدائه وسلبهم أموالهم، ينفقها في إطعام الصعاليك مثله. [1]

وهذا المعنى وتقسيم الصعلوك إلى قسمين، يمْثل في قول **حاتم الطائي:**

لحــى الله صعلوكًـا مناه وهمــه ***من العيش أن يلقى لبوسًا ومطعما
ينامُ الضُّحى حتى إذا الليل جنه ***تنبــه مثــلـوج الفـــؤاد مورمــا
مقيمًا مع المثـرين لـيس ببــارحٍ ***إذا نال جدوى من الطعامِ ومَجثِمَـا [2]

وقال في الصنف الآخر:

ولكن صعلــوكـًا يســاور همُّــه *** ويمضي على الهيجاء ليثًا مصممَا
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت *** تيمـــم كبـــراهن ثُمّـتْ صممـَـا
فذلـــك إن يلق الكريـــهة يلقها *** حميــدا، وإن يســتغنِ يوما فربمَا [3]

يتبين من خلال هذه الأبيات التي ذكرها الشاعر أن الصعلوك إن اختار العمل على الأغنياء وانتظار صدقاتهم سيعيش حياة ذليلة في المجتمع، وإن هو اختار الغزو والنهب من أولئك الأغنياء الشحاح البخلاء، الذين حرموه من لقمة عيشه سيحيى حياة كريمة، حتى وإن كانت مهددة وخطرة عليه دون اهتمام إن كان نهبها وسلبها بطرق غير شرعية.

---

[1]– أحمد أمين، الصعلكة والفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة_ مصر، د.ط، 2012م، ص:15.

[2]– المرجع نفسه، ص: 15./ مثلوج الفؤاد: بارد القلب./ مورما: منتفخا من الغم./ الجدوى: العطية ./ مجثما: مكان يقيم فيه.

[3]– المرجع نفسه، ص: 15./ يساور همه: يواتيه ويدافعه./ تيمم: قصد وتعمد.

لهذا نجد خيرة الصعاليك الذين تحدثوا عن هذا الأمر وإن كان ذو نشأة جاهلية، يقول **عروة بن الورد:**

دعيني للغنى أسعى، فإنـي *** رأيت النـاس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونـــهم عـــليهم *** وإن أمسى له حسب وخير [1]

فالصعلوك يدرك أن الغني يزداد غنى وتقديرا والفقير يزداد فقرا ومهانة واحتقارا من قبل المجتمع وأصحاب النفوذ.

ونتيجة لمظاهر الفساد الاقتصادي الذي شهدته الدولة الأموية والأحزاب المعارضة لها، أدى إلى بروز طبقتين من المجتمع في العصر الأموي: طبقة فقيرة كادحة لا تستطيع حتى اللحاق بمركب العيش الزهيد فما بالك بالوفير، وطبقة غنية تضم جملة من الخلفاء والعمال والولاة والقبائل التي تحالفها وتتبعها، وهذا التمايز الطبقي ولد نفورا لبعض الفقراء وذلك بالخروج على نظام الحكم والتمرد على سلطان الدولة.

ومن هنا نشأ الصعاليك في العصر الأموي، ذلك أن الفقر هو الذي حملهم على التصعلك، وعلى اختيار سبيلهم في الإغارة والنهب أسلوبا للحياة. [2]

صدق **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه، في نهج البلاغة حينما قال:" الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة" [3]، فالفقر من مسببات الاغتراب والشعور بالغربة حتى وإن كان بين أهله وداخل وطنه، فالفقير لا يُسْمع لكلامه ولا يأخذ بأقواله،

---

[1]– عروة بن الورد، الديوان، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، د.ط، 1418هـ_1998م، ص: 79.

[2]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 40.

[3]– علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت_لبنان، ط4، 2004م، ص: 478.

مثله مثل الغريب النائي عن بلده، وهذا ما كان يعاني منه الصعلوك إذْ العوز والحاجة هما اللذان حملاه على التلصص والنهب والإغارة بعد الإحساس بالذل والمهانة من قبل المجتمع.

وكما أشرنا من قبل أن كلمة **اغتراب** تعني نقل ملكية شخص إلى شخص آخر، فكذلك حصل للصعاليك، إذ هم أحق بالصدقات والخراج لكن الدولة حرمتهم بل وفرضت عليهم الضرائب، وها هو **عمر بن أحمر الباهلي** يشكو من غلو واستبداد السعاة بقوله:"

إنْ نحنُ إلا أناسٌ أهل سائمةٍ *** ما إن لنا مِنْ دونِها حَرثٌ ولا غُررُ
مَلُّوا البلادَ وَعَلَّتهُم وأحرقتـهم *** ظـلم السُّعـاةِ وبـادَ المـاء والشجـرُ" [1]

ومن خلال العامل الاقتصادي الذي ساهم في عودة الصعاليك في الدولة الأموية، نجد أن هؤلاء الصعاليك أحسوا بالاغتراب الاقتصادي بعد سلبهم حقوقهم وأموالهم، وإذا ما أردنا أن نسْتَبين معنى الاغتراب الاقتصادي ف**كارل ماركس** هو من نظّر لمفهوم الاغتراب من الناحية الاقتصادية، "والاغتراب الاقتصادي يشير إلى شعور العامل بانفصاله عن عمله، على الرغم من وجوده كفرد، كجسم في مقر عمله، وذلك الإحساس بالانفصال يولّد لديه شعورا بالعجز والملل والخوف من المستقبل". [2]

ومن هنا نرى أن هؤلاء الصعاليك عانوا من الاغتراب بنوعيه السياسي والاقتصادي نتيجة للسياسة الفاسدة ولظلم السعاة والولاة وشدة الفقر والحاجة.

---

[1]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 36./ الغرر: جمع غرة وهو العبد.

[2]– جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص: 349.

3. العامل الاجتماعي:

كان الموالي يمرون بتطور اجتماعي معين في منطقة العراق وخراسان، ذلك أن الفتح الإسلامي لهذه البلاد قضى على النظام الطبقي القديم وحرر في الوقت نفسه طبقات العمال والصناع والمزارعين، الذين كانوا يعيشون في بؤس، وقد نتج عن تحررهم واعتناقهم الإسلام ظهور طبقة وسطى من بينهم سكنت المدن وأحرزت الثورات، ونهلت من الثقافة الإسلامية، وسرعان ما برز بعضهم في ميدان الفقه والأدب، وإذا بهم بعد ذلك يشعرون أنهم ليسوا أقل مستوى من العرب وأنهم أحق بالحصول على المساواة معهم. [1]

من هذا المنطلق يلاحظ أن هذه الفئة من المجتمع أو هذه الطبقة مازالت ترى في نفسها أنها لم تصل بعد إلى مكانة العرب، ومازالت تعاني من التهميش رغم ما اكتسبته من معارف فكرية ويدوية واعتناقها للإسلام، وإذ قد يؤدي بهم هذا التهميش إلى الخروج عن نظام الحكم، والانضمام إلى صفوف الأحزاب المعارضة للسلطة أو التصعلك.

ويبين **محمد رضا مروة** أن العصر الأموي ظهر فيه من جديد صفة تشبث القبائل العربية بأهم قانون جاهلي وهو الحرص على الأنساب والتعصب لأبنائها ضد أبناء القبائل الأخرى، وهذه العصبيات التي لقيتها الحياة الاجتماعية أعادت التنافر بين القبائل، وأعادت الحروب أهم قانون جاهلي وهو الأخذ بالثأر. [2]

وبعودة العصبية القبلية بطبيعة الحال يعود التمرد على القبيلة، وذلك لما تقتضيه الوقائع والأحداث السياسية والفتن بين المجتمعات، وعدم التوحيد بين القبائل.

---

[1]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص:199.

[2]– ينظر: محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 49_50.

في حين يرى **حسين عطوان** أن نفرا من القبائل العربية لم تعجبها القوانين التي فرضتها عليهم الدولة الأموية، إذ أن هذه القوانين لا تسمح لهم بالحفاظ على عاداتها الموروثة وأخذوا يطالبونها بالمحافظة على تقاليدها، وبالخروج على السلطان ورفض الانصياع للنُظم التي تتحكم في رقابهم، والانتصار لهم سواء ظالمين أو مظلومين، فلم تستجب لهم القبائل، بل إذا ارتكبوا جريمة هي الأولى من تبحث عنهم وتتعاون مع الدولة وشرطتها في القبض عليهم، فجعل هؤلاء الصعاليك يرتحلون إلى الصحاري هربا من بطش قبائلهم والسلطة معا. [1]

ويذهب الدكتور **حسين عطوان** إلى أكثر من هذا فيقرر أن لكل فئة من فئات الصعاليك مشكلة، فالصعاليك الفقراء كانت مشكلتهم الرئيسية الفقر الذي سعوا للتغلب عليه بالتلصص والنهب، وأن الظلم السياسي كان أكبر مشكلة استولت على تفكير الصعاليك السياسيين، وأن التخلي على العصبية القبلية كان أخطر مشكلة أرقت الصعاليك الخلعاء المنبوذين المطرودين. [2]

ومن هنا نرى أن كل من تفسير **محمد رضا مروة** و**حسين عطوان** لعودة الصعلكة في العصر الأموي من الناحية الاجتماعية معاكسة، **فمحمد رضا** فسرها بعودة خلع القبيلة لأفرادها المجرمين، كما كان يحدث في الجاهلية، لكن **حسين عطوان** أرجع عودة الصعلكة من الناحية الاجتماعية تعود إلى أن القبائل العربية ضبطها قانون الدولة والإسلام فلم تحمي أفرادها المجرمين ومرتكبي الجنايات وإنما ساعدت في تسليمهم للسلطة، فارتحل هؤلاء الأفراد إلى الصحراء والأماكن المتخفية لينعزلوا عن الدولة وعن المجتمع معتمدين على قوتهم وسرعة عَدْوِهم في النهب والسلب ليضمنوا لقمة العيش.

---

[1]– ينظر: حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص: 60.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 73_74.

والملاحظ لرأيهما يدرك أن كلاهما على صواب، فهما مشتركان في قضية خلع الأفراد، وإن كان بطريقة مغايرة فالأولى تعتمد على سيد القبيلة بإرساء الأحكام في شؤون أفراد قبيلته، والثانية تعتمد على السلطة والشرطة القضائية في القبض على هؤلاء الفتاك واللصوص، وعدم مبالاة قبائلهم بهم.

ومن خلال العامل الاجتماعي نتج الاغتراب الاجتماعي، وهو"يتمثل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم وينتج ذلك الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظنه الإنسان في افتقاد دائم للدفء والعاطفة، وهو اغتراب عن المجتمع، ومغايرة معاييره، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية". [1]

وهذا الاغتراب قد يقصد به عدم تقبل الآخر وبالتالي يبتعد عنه ويختار عزلته ويستحببها على أن ينخرط في المجتمع، وقد يكون هذا الاغتراب ناتج عن رفض الآخر لشخصه وإهماله وعدم إعطائه أهمية أو الأخذ برأيه وأفكاره، فيصبح الاغتراب إذن إما اغتراب عن المجتمع أو اغتراب في المجتمع.

ومنه يكون الاغتراب الاجتماعي متمثل في الشعور بعدم التكافل الاجتماعي، أو الشعور بالاغتراب عن الآخرين، ويقابله الشعور بالانتماء إلى الآخرين [2]، ومظاهر الاغتراب الاجتماعي تتمثل في النبذ والرفض، وتعد الصعلكة أهم مظاهر الاغتراب في العصر الأموي وأبرزها، وهي نمط من أنماط العيش رمى الفقر والفاقة في غالب الأمر بأصحابه إلى انتهاجه. [3]

---

[1]– جديدي زليخة، الإغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص: 349.

[2]– فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة_مصر، ط1، 1997م، ص: 98.

[3]– المرجع نفسه، ص: 98_99.

ومن هنا نرى أن المجتمع في العصر الأموي تطور ونحى مناحي مختلفة، فمنهم الموالي الذين شعروا بالعنصرية بينهم وبين العرب فقوبلوا بالرفض من طرف المجتمع، ومنهم فئات تنتمي إلى الدولة الأموية والعربية الإسلامية، لكن نظام الدولة لم يعجبها ولم تستشعر الراحة والأمان الذي تطمح له، كما أن هناك أقليات من المجتمع تعددت جرائرها فقوبلت بالرفض والنبذ من طرف القبيلة أولاً ومن طرف الدولة ثانيًا، "لذا إن طائفة الصعاليك التي ظهرت في الجاهلية واستمرت في العصر الأموي تظهر في شعرها سمات الاغتراب بصورة قوية وواضحة، متمثلة خاصة في ذلك التمرد الذي دفع بهؤلاء المغتربين عن مجتمعهم إلى البحث عن بديل للقيم التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم". [1]

صحيح أن النبذ والرفض والطرد وذلك التمايز العنصري بين طبقات المجتمع كانوا من أسباب الاغتراب الاجتماعي للصعاليك، وساهموا في شدة هذا الإحساس، لكن هناك أسباب أخرى ساهمت وبشكل فعال في اغتراب الصعاليك: كعقدة اللون والبعد عن المرأة، بل وصلت بهم إلى تجربة أقسى غربة، وهي الغربة النفسية، فبعد رفض الجماعة لهذه الفئات، تحولوا من نطاقها إلى نطاق الذات المنفردة المنعزلة البعيدة عن المجتمع ومشاكله، يجوبون الفيافي طلبا للرزق، أو هربا من البطش.

وفي هذا يقول الشاعر **السمهري بن بشر العكلي** عن اغترابه ولوم المرأة له بعد أن تركها وحيدة تعاني وحدتها، فالصعاليك لم يغتربوا وحدهم فقط بل حتى نسائهم اغتربوا عن رجالهم، حيث قال:

تَمَنَّـت سُلَيمــى أن أقيـم بأرضــها *** وأنَّى لسَلمى –وبيبها – ما تمنَّت
ألا ليت شعرى ! هل أزُورَنَّ ساجرًا *** وقـد رَوِيَت مَـاء الغوادي وَعلَّت

[1]– محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة_مصر، د.ط، 2010م، ص: 63.

بني أسدِ هل فيكم من هـــوادَة *** فتعفوا، لَو إن كانت بي النَّعلُ زَلَّت [1]

فالشاعر هنا يتمنى العودة إلى أرضه، ويتمنى أن تعفو عنه قبيلته، ويردُ على **سلمى** أن لا تلومه على تركها، وإنما يفعل ذلك لطلب الرزق.

وبما أن العامل الاجتماعي له دور في اغتراب الصعاليك، فبالتأكيد نتج عن دوافع نفسية لهؤلاء الأفراد، وتمخض من هذه الدوافع الاغتراب النفسي **فما هو؟**.

الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل المجتمع، مما يعني أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة، وتعد حالات الاضطراب النفسي أو التناقضات صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعتري الشخصية. [2]

وإن هذا الاغتراب لا يمكن تحديد مفهوم مضبوط له، نتيجة تداخله مع باقي أنواع الاغتراب، وفيما تقتضيه تلك الأنواع لها علاقة بالنفس ومرتبطة بالشعور، فخلاصة القول أن الاغتراب النفسي المجتمع أول في تكوينه، وهو شعور بعدم التوازن واضطراب للذات وإحساس بالقلق والتوتر والضعف، وهذا ما حصل مع الصعاليك إذ عقدة اللون وخلع قبائلهم لهم وتعاونهم مع الدولة للبحث عنهم، والعنصرية القائمة بين العرب الأحرار وأقليات من الموالي والفقراء التي عانت من التهميش رغم ما اكتسبته من خبرة ومعارف، والاغتراب عن الأهل والزوجة والبنت والأم أو بالأحرى عن المرأة،

---

[1]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ج1، دار الحضارة الجديدة، بيروت_لبنان، ط2، 1992م، ص: 37_38./ الويب: عجبا، الغوادي: جمع غادية وهي السحابة الماطرة، ساجر: ماء في بلاد ضبة وعكل.

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سايكولوجية الاغتراب، ص: 81.

كان لهذه المظاهر الاجتماعية سبب في تقوقع الذات الإنسانية وانعزالها عن الجماعة، وشعورها بالقلق والضعف والخوف.

4. العامل الجغرافي (البيئي):

إن البيئة الطبيعية المتمثلة بالصحراء قد أثرت في حياة العرب مما جعلتهم في نقلة دائمة، وحركة مستمرة باتجاه السحاب الماطر والأرض المعشبة ليس لهم فحسب، بل ما يضمن الحياة لماشيتهم وإدامة أسباب معيشتهم أيضا، فمناخ الجزيرة العربية في جملته حار شديد الحرارة، وتكثر في نجد رياح السموم التي تهب صيفا، فتشوي الوجوه شيًّا، والأمطار عامة قليلة ومتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجدبت وحل الهلاك على القطعان والرعاة. [1]

إن الجانب الجغرافي لمنطقة سكان العرب كان له دور في نشأة الصعاليك من الجاهلية وحتى في العصر الأموي، "ومن أظهر ما عرفت به البلاد العربية منذ القدم الجدب والحر، إذ تقع الجزيرة العربية كلها تقريبا داخل نطاق الحرارة القصوى الذي يطوّق العالم في شهر يوليه، ومن عوامل الجدب قلة المطر، وذلك لأن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تتعرض لها الجزيرة العربية صيفا تصل إليها بعد أن تكون قد أسقطت أمطارها الغزيرة على الحبشة، ولهذا فإن أمطارها في بلاد العرب لا تكاد تذكر بجانب ما يسقط منها في الحبشة". [2]

أما أشد ما تقاسيه البادية العربية احتباس المطر، فمتى احتبس أصبحت غير صالحة للسكنى، فقد حل الجفاف، وما يتبعه من نفوق القطعان، وهلاك الرعاء،

---

[1]– سعدية حسين البرغثي، الاغتراب في شعر الصعاليك، مجلة الثقافة والتنمية، العدد50، جامعة بنغازي، 2011م، ص: 108.

[2]– يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط3، د.ت، ص: 64_65.

وأجدب البدو وضاقت أمامهم سبل الحياة، ولم يعد أمامهم إلا أن يرحلوا عن مواطنهم ينتجعون مواطن الكلأ والماء، حتى لقد يدفعهم الجدب إلى مغادرة البادية العربية كلها إلى تلال اليمن والشام أو إلى سهول النيل والفراتين. [1]

لذا فإن البيئة الجغرافية لبلاد العرب وتذبذبها المستمر، وما يمر عليها من سنين جفاف وأخرى ماطرة، أدى إلى وجود الفقر أولا وإلى الهجرة ثانيا، وكان لهذا التذبذب أثر على القبائل العربية وعلى الصعاليك أيضا.

فكانت البيئة خير مكان تترعرع فيه هذه الظاهرة الموسومة بالفتك والتي تحتاج إلى بيئة يسهل فيها الكر والفر والاختفاء، وتكثر فيها المارة بطرقها التجارية، وبعدها عن العاصمة السياسية، فكانت خير مسرح للصعاليك في الجاهلية والإسلام توفر لهم سعة في العمل، وتهاونا في الطلب عنهم أحيانا، أو هو في الحقيقة صعوبة الوصول إليهم.[2]

ومن هنا نستنتج أن الاغتراب أو بالأحرى الاغتراب المكاني، كان نتيجة طبيعية لمجموعة من العوامل أبرزها: العامل السياسي والعامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي والنفسي والعامل الجغرافي، مما ساهمت في اغتراب الصعاليك، والبعد عن الديار والأهل والوطن.

وعند الرجوع إلى معاجم وقواميس اللغة العربية نجد مفهوم الغربة أو الاغتراب هو النزوح عن الوطن والبعد والنوى، فالمكان مرتبط بالإنسان منذ القدم فهو الذي يحقق له الشعور بالانتماء لتلك البيئة أو البقعة الجغرافية، أو ذلك الحيز الذي ألف الجلوس فيه، فهو موطن ذكرياته وأيامه وأحاسيسه.

---

[1]– المرجع السابق، ص: 66.

[2]– فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، ص: 105.

كان للمكان الدور المميز في إحداث رؤية واعية لعذابات الروح ومعاناتها عبر رحلتها في هذا الكون، وكان لهذا الشعور العمق الكبير في ارتباط الإنسان بالمكان لأن ارتباط الإنسان بالأرض أوثق ما يكون في تعلقه بوطنه وهو مقيم في حماه، وحنينه إليه، وهو ناء عنه، وقد تبرز حقيقة هذا الشعور حين يعيش الإنسان حقيقة تجربة الاغتراب المكاني [1]، فالإنسان نتيجة لإحساسه بالانتماء إلى الأرض التي نشأ فيها أو التي يحمل فيها ذكرياته القديمة، أصبح المكان الجديد الذي وطأته قدماه، لا يشعره بالانتماء، ويولد في نفسه الشوق والحنين والحلم بالعودة للوطن الأصل، فالأرض رغم تشابهها وتوأمة عناصرها إلا أنها ليست كأرضه، التي تضم فيها أهله وأحبائه وأفراحه وأتراحه وأحزانه وماضيه، ومنه يعتبر كل الأراضي أرض منفى بالنسبة له، أما أرضه فهي أرض الحب والوصال.

إن ارتباط الإنسان بالأرض يمكن رصده من ارتباط مادي عضوي، كارتباط النبات بها، إلى ارتباط معنوي، حين اتصل بقضايا الحرية(لا وطن بلا حرية، ولا حرية بلا وطن)، والأرض التي ولد فيها الإنسان وفيها نشأ وترعرع، تشده إليها دوما، مهما تطورت مفاهيمه عن الوطن، ومهما حاول الاغتراب والتنقل والارتحال. [2]

نحن نعلم أن الإنسان مرتبط بمكان معين يعيش فيه، وقد يحبذه وقد ينكره ولكن **ما سبب شعوره هذا كالحنين والشوق والصراع الداخلي الذي استحوذ عقله وقلبه والذي جعله يدرك غربته ؟**

يمكن تمييز نوعين من الغربة:

---

[1]– أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، ص: 85.

[2]– عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دار الأنوار للطباعة، دمشق_سوريا، د.ط، 1986م، ص: 43.

أولا: غربة القهر، ليس للإنسان سلطة فيها وإنما اصطلحت مجموعة عوامل على خلقها، وقد تجلت في الغربة عن الوطن والأهل وعن المجتمع. [1]

ثانيا: غربة الذات، تجلت في حنين صاحبه إلى الماضي، وتغير الدهر عليه. [2]

ويمكن اعتبار هذه الغربة افتعال من قبل المغترب فهو لم يقم أحد بنفيه أو طرده وإنما اختارها طوعا لما تقتضيه الحاجة، مثل رحلات طلب العلم أو العمل.

إذن الاغتراب شعور تولده الغربة وقد تكون هذه الغربة إما قهرية أو اختيارية، وهذين النوعين يحصران من ضمن الاغتراب المكاني، ونلتمس هذا النوع من الاغتراب في شعر الصعاليك، بعد أن قامت قبائلهم بنفيهم وطردهم من حماها أو فرارهم من العدالة، أو غربة من وراء أبواب السجن، وهذا الإحساس والقهر كان نتيجة لتلك العوامل المذكورة سابقا، ولكي نحدد الدراسة حددنا طوائف الصعاليك في العصر الأموي التي ما تعددت إلا بسبب الاغتراب، وهؤلاء الصعاليك الذين اختلفت تسمياتهم لاختلاف طوائفهم وتوجهاتهم، جعلت العلماء والباحثين يحددون نطاق مفهوم الصعلكة ضمن مجموعة من المصطلحات.

هناك ألفاظ تشارك الصعلكة في مدلولها وتنتقل بها من المدلول اللغوي إلى المدلول العرفي أي من الفقر إلى اللصوصية وقطع الطريق، ومن هذه الألفاظ التي تستحوذ كتب التاريخ والأدب العربي هي: لص، وذئب، وفاتك، وخليع وشيطان وشاطر. [3]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 14.

[2]- المرجع نفسه، ص: 14.

[3]- عبد الحليم حفنى، شعر الصعاليك، منهجه، وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987م، ص: 20.

5. طوائف الصعاليك:

الصعلوك في اللغة الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة، ولم تقف هذه اللفظة عند دلالتها اللغوية الخالصة، فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق[1]، وقد كوّن الصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة تُغير على أحياء العرب، لترزق نفسها ومن يأوي إليها، ولكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على أعراف قومهم، ومن الذين لا يبالون ولا يخشون أحدا، صاروا قوة خشي منها، وحُسِبَ لها حساب خاصة وفيها شعراء فحول، يحسنون الهجاء ويتقنون فن ثلب الأغراض، وفيها مقاتلون شجعان لا يعبأون بالموت، يفتكون بمن يريدون الفتك به. [2]

ومن شدة حزمهم وعزمهم في تنفيذ ما يجول في أنفسهم، وقوة جسدهم وبنيانهم، خشي العرب منهم، فتعددت طوائفهم لتعدد واختلاف مسارات حياتهم.

وفيهم يقول **الراجز**:

الله نجـاك مـن القصيـم *** وبطن فلــج وبنـى تميـم
ومن بنـــي حردبة الأثيم *** ومـالك وسيفــه المسموم
ومن شظاظ الأحمر الزنيم *** ومن غويث فاتح العكوم [3]

وهؤلاء الصعاليك الذين ذكرهم **الراجز** في أبياته هم من أشهر الشعراء الصعاليك وأشدهم فتكا، وينقسم الصعاليك في العصر الأموي إلى أربع فئات هي:

---

[1]– شوقي ضيف، كتاب الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج1، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط11، 1960م، ص: 375.

[2]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط4، 1993م، ص: 412.

[3]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ج1، ص:24./القصيم: موضع، الزنيم: اللئيم، العكم: حقيبة.

أ. فئة الصعاليك الفقراء:

نشأت هذه الفئة بسبب السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الدولة الأموية مع القبائل، إذ كانت تمدُّ يد المساعدة والعون للقبائل التي تقف معها وتساعدها، وتقلل من تلك المساعدة للقبائل التي كانت تناهضها، أو أنها كانت تقطعها في كثير من الأحيان وتسوم تلك القبائل المناهضة ألوان العذاب والشدة. [1]

ويطلق عليهم أيضا اللصوص، هذه الفئة التي استشعرت الفقر وبخل الدولة على رعاياها واستئثارها بالمال والفيء والغنائم دون الرعية، بينما كانت حاشية السلطة وأعوانها تتمتع بنعيم الدنيا، وتلهو في ملذاتها، في الوقت الذي رأى الصعلوك نفسه عاجزا، يضيق العوز عليه ما اتسع من الأرض والإحساس بالفقر، كان من الدوافع الكبيرة التي جعلت الصعاليك يحتكمون إلى السيوف للحصول على حقوقهم والعيش بكرامة. [2]

وإن للفقر نقمة على النفوس لما تعانيه من حاجة وحرمان وشدة وجوع جعلت من هؤلاء الصعاليك متمردين على السلطة وعلى القبائل ليسدوا رمقهم ورمق غيرهم من الفقراء والمستضعفين، فهم لم يستطيعوا الصبر على هذه الآلام.

حتى إن الإسلام قد بين شدة الفقر وصعوبة تحمّله، ومن يتحمل هذه المعيشة بالصبر على الابتلاء والجوع يعوّضه الله جنة الخلد، حدثنا **إسماعيل** قال: حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: " عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا ؟ فقال: رجل من أشراف

---

[1]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 69.

[2]– صغير بن غريب عبد الله العنزي، رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (رسالة دكتوراه)، قسم الأدب، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ص: 60.

الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفّع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفّع، وإن قال لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا ".[1]

هذا يدل أن الناس في ذلك الوقت كانوا يدركون صعوبة الفقر وأن الفقير محتقر وذليل ولا يأخذ بكلامه وأقواله، مثل الغريب الذي لا يأخذ له اعتبار، ولهذا شرَّف الرسول ﷺ الفقير.

كما روي أيضا في **صحيح البخاري:** " حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر، اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم". [2]

فمن خلال هذين الحديثين نلاحظ أن الفقر شديد منيع على المستضعفين من البشر لدرجة أن يستعاذ منه، فعدم تحمله يودي بصاحبه إلى الوقوع في المحرمات كالسرقة والقتل وغيرها، وهذا ما حصل لفئة الصعاليك الفقراء، إذ اعتبروا أن هذه الأعمال التي يقومون بها أعمال هدفها نبيل لأنها تأخذ من مال الغني البخيل وتقسمه على الفقراء المحتاجين.

---

[1]– أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهومة، دار ابن كثير، دمشق_بيروت، ط1، 2002م، ص: 1606.

[2]– المصدر نفسه، ص: 1589.

ويحاول علماء النفس المستحدثون دراسة هذه المسألة وأشباهها على أساس ما يسمونها "عقدة الفقر"، وهي تلك التي تتكون نتيجة للإحساس بالفقر، وتدفع صاحبها في محاولة التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل على أن يصير غنيا. [1]

وخير من يمثل هذه الفئة من الصعاليك الفقراء: مالك بن الريب التميمي، وأبو النشناش التميمي، وطهمان بن عمر، وجحدر بن مالك الحنفي، والسمهري بن بشر العكلي. [2]

وفي هذا يقول **مالك بن الريب:**

سيغنيني المليك ونصل سيفي *** وكرات الكمين على التجار. [3]

ب. فئة الخلعاء و الشذاذ :

يبقى الفرد متمتعا بعطف قبيلته عليه، وبحمايتها له ما دام قائما بواجباته المترتبة عليه، شاعرا بعظم التبعة، فإذا أجرم أو عمل عملا ينافي شرفه أو شرف قبيلته، واستمر في غيِّه لا يسمع نصائح أهله وعشيرته كاسرا أعراف أهله وقبيلته، فقد عصبية أهله وقبيلته له، وهام على وجهه طريدا يلتمس مجاورة رجل من عشيرة أو قبيلة أخرى. [4]

وعند الرجوع إلى قواميس اللغة نلمس فرقا بارزا بين كل من مصطلحي الخليع والشاذ.

---

[1]– يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلين ص: 32.

[2]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 69.

[3]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف، القاهرة_مصر، د.ط، 1958م، ص: 353.

[4]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص: 410.

جاء في قاموس المحيط؛ شذَّ يشُذُّ ويَشِذُّ شَذًّا وشُذُوذًا: ندر عن الجمهور، والشُّذَّاذُ: القُلَلُ، والذين لم يكونوا في حَيِّهِم ومنازلهم وأشَذَّ جاء بقول شاذّ، والشيء: نَحَّاهُ وأقصاهُ. [1]

فيتبين من هذا أن الشّذاذ هم فئة من الناس يكونون داخل قبيلة ما وليست بقبيلتهم، ونظرا لوصفهم بالقُلال أي فئات منفردة لا تنتمي إلى جماعة معينة، ولا يقطنون في حيهم ومنازلهم بل هم غرباء عن هذه القبائل.

وبالرجوع إلى قاموس المحيط أيضا، نجد أن كلمة الخَلعُ تعني المَنْع، النزعُ، إلّا أن في الخلعِ مُهلَةً، وبالضّم طلاق المرأة يبدل منها أو من غيرها، كالمُخالعَة والتخَالِعُ، وكان في الجاهلية إذا قال قائلٌ: هذا ابني قد خلعته، كان لا يُؤخَذُ بعد بجريرتِهِ، والخلعاء: جماعتهم، كانوا لا يُعطون طَاعةً. [2]

ومن هنا نرى أن الخَليعَ هو من تبرأ منه أهله وعشيرته لأنه لا يُوَلي لهم الطاعة وكثرت جناياته ولم يرضخ لأقوالهم ونصائحهم، حتى وإن أمهلوه مدة لربما يتوقف عن جناياته، فلا يستمع، والفرق البارز بين كل من الخُلعاء والشذاذ هو:

أن الخلعاء هم أبناء القبيلة بينما الشُذاذ هم فئات منفردة لا تنتمي لقبيلة ما، وإنما عايشتهم، فخرجوا عليها، والخلعاء طردوا منها، "وهذه الفئة تكوّنت من خلعاء القبائل وشذاذها الذين انحرف سلوكهم في قبائلهم أو في غيرها فخلعتهم وتنصلت منهم وتوقفت عن المطالبة بحقوقهم والنهوض بجرائرهم وخير من يمثل هذه الفئة من

[1]– مجد الدين يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 847.

[2]– المصدر نفسه، ص: 490_491.

الصعاليك أمثال: الخطيم العُكْليّ، ومسعود بن خرشة التميمي، وعبيد بن أيوب العنبري، ويعلى الأحول اليشكري. [1]

ج. فئة الفارِّين من العدالة:

وهؤلاء الذين ارتكبوا جناية واعتدوا على غيرهم، إما بالقتل وإما بالسرقة، وكانت أعمالهم الشاذّة قد وصلت إلى العمال والخليفة، فطُولبت قبائلهم بهم، ففروا من الطلب والعقاب، ومنهم: القتال الكلابي، والقتال الباهلي، والهيزدان بن خطار، وعبد الله بن الأحدب السّعدي التميمي، والأحيمر السعدي التميمي، ومسعود بن خرشة التميمي.[2]

والملاحظ من هاتين الفئتين: فئة الخلعاء والشذاذ وفئة الفارين من العدالة يجد تشابها ملموسا بينهما، فكلاهما ارتكبا جرائم وجنايات جعلتهم مطرودين منبوذين، سواء من طرف القبيلة أو من طرف الدولة، فالأولى تمردت على القبيلة وكثرت جرائمها فخلعت والثانية تمرّدت على الدولة لعدم تقبّلها قوانين الحكم، فثارت عليها وحاربتها، فنددت الدولة الأموية بالقضاء عليهم، ففروا مهرولين خائفين من الموت والأسر.

د. فئة الصعاليك السياسيين:

وهم الذين يئسوا من تصارع الأحزاب وتطاحنها على الخلافة، ويئسوا كذلك من عدل الدولة فناصبوها العداء، وخرجوا عليها منذرين متوعدين وثائرين ومنهم: أبو حردبة المازني التميمي، وعبد الله بن الحجاج الثعلبي، وعبد الله بن الحر الجعفي. [3]

وهؤلاء الصعاليك نتيجة لإحساسهم بالظلم والاستبداد السياسي الذي فرضته على كثير من القبائل التي ناصبت لها العداء، وعدم معاملتهم معاملة حسنة جعل نفرا

---

[1]– محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، ص: 70.

[2]– المرجع نفسه، ص: 70.

[3]– المرجع نفسه، ص: 71.

منهم يخرجون ضد هذه السياسة محاولين إقامة دولة خاصة بهم تحكمها العدالة الاجتماعية، لكن يا للأسف لم يستطيعوا الوصول إلى مبتغاهم فمنهم من ندم ندما شديدا بعد تجربته المرة في البيداء والقفار والجبال، خائفين من الموت والقيود فتوجب عليهم هذا الاغتراب عن الأهل والقبيلة والبلاد، وفي هذا يقول **ابن الحر**:

أَتَانِي وَعيدُ ابن الزبير فلم أُرَعْ *** ومَا مِثْلُ قَلبِي بالوَعيدِ يُروَّعُ
فَلا تَرمِيَنِّي بالوَعـيـــدِ فإنَّنِي *** سَأترُكُ مَا تَهوى وأنفُكَ أجدَعُ [1]

ومن هنا نصل إلى أن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية المستعصية والمتأزّمة، هي التي ساهمت في اغتراب الصعاليك كما أدت إلى ظهور مختلف طوائفهم.

[1]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ج1، ص: 271.

1. أهمية المكان:

يعتبر المكان من أكثر المفاهيم التي عني بها مجموعة من العلماء والفلاسفة، وذلك راجع لما يلعبه المكان من دور بارز في حياة الإنسان، وباقي الكائنات الحية، وبما يربطه مع مختلف ميادين العلم والمعرفة، ولقد تعددت المفاهيم والرؤى التي حاولت التأصيل لمفهوم المكان والبحث عن دلالته وقيمته.

أ. المكان لغة:

جاء في لسان العرب **لابن منظور**: المكان، الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه. [1]

وجاء في مادة كون: والمكانة والمنزلة، وفلان مكين عند فلان بين المكانة، والمكانة: الموضع [2]، وورد في معجم جمهرة اللغة **لابن دريد**: المكان، بأنه مكان الإنسان وغيره، والجمع أمكنة ولفلان مكانة عند السلطان أي منزلة. [3]

يتبين من خلال التعريفات أن مفهوم المكان في معاجم اللغة، جاء بمعنى المكانة والمنزلة، وبمعنى الموضع، كما وردت لفظة المكان في القرآن الكريم في عدة آيات، إذ جاء بمعنى الموضع، لقوله تعالى:" وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص: 414.

[2]– المصدر نفسه، ص: 365.

[3]– أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ج3، ط3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1345هـ، ص: 171.

مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ " [1]، وقال أيضا:"وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ "[2]، وجاءت لفظة المكان بمعنى المنزلة أيضا، لقوله تعالى:"وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ " [3]، وقوله أيضا:" فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ " [4].

وفي اللغة العربية مفردات أخرى تدل على المكان، ومنها: الملاء، والحيز، والموضع، والخلاء، والأين والمحل. [5]

ب. المكان اصطلاحا:

تقول **اعتدال عثمان:**" المكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم، ويتكون من مواد" [6]، ومن خلال قولها فإنها نظَّرت للمكان من الناحية الجغرافية، وإذا اتجهنا للمفهوم الاصطلاحي للمكان من الناحية الفلسفية." نجد أن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون، إذ عده حاويا"[7]، "وعرفه بأنه بعد موهوم يشغله الجسم ويسمح له بنفوذ أبعاد فيه". [8]

---

[1]– سورة مريم، الآية: 16.

[2]– سورة يونس، الآية: 22.

[3]– سورة مريم، الآية: 57.

[4]– سورة مريم، الآية: 75.

[5]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار رضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م، ص: 29.

[6]– اعتدال عثمان، جماليات المكان، مجلة الأقلام، العدد2، العراق، 1986م، ص: 76.

[7]– ينظر: عبد الرحمان بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975م، ص:196.

[8]– جيهان عوض أبو العمرين، جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي، بحث لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، قطر، 2013م، ص: 12.

أما **أرسطو** فقد اعتبره موجودا ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق، الحركة التي أبرزها حركة النقل من مكان إلى آخر، وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه، وسابق عليها ولا يفسد بفسادها. [1]

ومن خلال هذه المفاهيم لكل من **أفلاطون وأرسطو**، نجد أن المكان عند **أفلاطون** ينظر إليه على أنه مكان غير حقيقي وقابل للتغيير، في حين اعتبر **أرسطو** أنه يمكن إثبات وجود المكان ما دمنا نشغله ونتنقل فيه، كما سار فلاسفة وحكماء المسلمين على نفس خطى فلاسفة اليونان، إذ هم أيضا اهتموا بمصطلح المكان، ونظّروا لمفهومه، **فالكندي** (ت256هـ) عرفه بأنه:" التقاء أفقي المحيط والمحاط به"[2]. وقد تأثر **الفارابي** بآراء **الكندي**، وأكد أن المكان موجود بيّن ولا يمكن إنكاره، إذ إذ لا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به. [3]

وبالرغم من العناية الفائقة لعنصر المكان من قبل الفلاسفة والعلماء إلا أنهم مازالوا يفتقرون إلى توضيحه، حتى جاء الفيلسوف الفرنسي **غاستون باشلار**، الذي بين من خلال دراسته للمكان بوصفه ظاهرة إبداعية، حيث قال:" المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يكون مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية". [4]

---

[1]–عبد الخالق بن خضران بن مساعد الزهراني، المكان في الشعر السعودي، بحث لنيل درجة الماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1436هـ، ص: 16.

[2]– محمد عبيد صالح السبهاتي، المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة)، دار الآفاق العربية، العربية، القاهرة، ط1، 2007م، ص: 19.

[3]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 31.

[4]– غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص:31.

ومن هنا نرى أن المكان أخذ مدلولات عدّة، واعتنى به الكثير من الفلاسفة والعلماء والدارسين، لم نشأ التعمق في آرائهم بكثرة، وذلك حتى لا نبتعد عما يهمنا في هذا البحث، ومن خلال نظرة **غاستون باشلار** للمكان، يجد أن المكان مرتبط بالفن والإبداع، بل وجزء لا يتجزأ من العمل الفني، لكونهما عنصران متلازمان، فالمكان لا يتداخل مع الأبعاد الفلسفية والهندسية والفيزيائية فحسب، بل يحمل أبعاد جمالية وفنية تتداخل في كثير من الأعمال الفنية المتنوعة.

فإن كان العمل الفني يخرج بتأثير عوامل ذاتية يمثلها الإحساس وعوامل خارجية تمثلها عناصر المكان[1]، فالمكان من أهم عوامل التجربة الأدبية وعلى الأديب أن يضع المكان في عمله الإبداعي بصورة تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية[2]، لأنه يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب. [3]

وباعتبار أن المكان ظاهرة شملت جميع نواحي الحياة، وتخدم الإنسان، فقد حظى باهتمام كبير، وحتى عند تصفح دواوين وأشعار العرب القدامى، نجد هذا واضح ومتجلي في كثير من أشعارهم، بل ولا زال المكان عنصر فعال ومشارك حتى في عصرنا الحالي، وشغل الكثير من الفنون الأدبية من شعر ورواية ومسرح وغيرها، وسنحاول الآن استخلاص أبرز المفاهيم التي توضح أهمية المكان وقيمته سواء بالنسبة للإنسان أو الأديب ككل.

- المكان ذو طابع قدسي مثل: المساجد والكنائس والمعابد.

---

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 55.

[2]- سيزا قاسم، بناء الرواية (مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1984م، ص: 84.

[3]- أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، دار قرطبة، البيضاء، ط2، 1988م، ص: 03.

- المكان ذو طابع تاريخي ويتجلى ذلك فيما خلفته الأمم السابقة من آثار عمرانية وبنايات، فاعتبر المكان كوثيقة تاريخية تسمح بالتعرف عل الكثير من اللبس الذي لطالما حاول الإنسان الإجابة عنه، كما تسمح باكتشاف علوم ومعارف الحضارات السابقة، وفي هذا يقول **النابلسي:**" إن الأمكنة هي نحن وهي جزء من تاريخنا، بل هي التاريخ كله"[1].
- المكان ذو طابع سيكولوجي نفسي، إذ يمثل الهوية الشخصية للفرد، وبه يدرك فضل الانتماء إلى المجموعة وإلى أراضي الوطن، والابتعاد منها يولد مشاعر الشوق والحنين، حيث تذكره بأحداث الماضي التي ارتبطت بذاك المكان.
- المكان ذو طابع جغرافي، ويتجلى ذلك في الطبيعة والكون الذي أنشأهما الخالق.
- المكان ذو طابع فني جمالي أدبي، ويتجلى هذا في النصوص الإبداعية كالشعر والنثر، مثل ما أشرنا سابقا، إذ يمثل المكان الإطار الخاص الذي يسمح للأديب التعبير عنه، فالأديب ابن بيئته ومنها يستمد ابداعه بوصفها والتغني بها، أو التحسر عليها إن ابتعد عنها، ويبقى كل أديب ونظرته للمكان (البيئة) بحسب تجربته.

تتشكل حياة الإنسان من أحداث متلاحقة تحدد أبعادها وتؤطرها مظاهر مكانية مختلفة، تشحن هذه الأحداث بالعاطفة وتتحكم بها شبكة من العلاقات، التي تربط الإنسان بمكانه، فضلا عن تعميق وجوده فيه وانتمائه إليه[2]، فإن كانت هذه بعض

[1]– شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994م، ص: 14.

[2]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 58.

الرؤى لعلاقة الإنسان بالمكان، **فما علاقة الصعاليك بالمكان المتناثرة هنا وهناك في كثير من أشعارهم سواء في شعر المقطوعات أو في القصائد الطوال ؟**

2. علاقة الصعاليك بالمكان:

اتخذ الصعاليك من الشعر وسيلة للتعبير عن همومهم ومغامراتهم وبطولاتهم، مثلهم مثل باقي الشعراء العرب، كما اشتهر ذكر الأماكن في أشعار الصعاليك خصوصا في العصر الأموي، إذ في هذا العصر بالذات توسع نطاق الحكم الأموي، وكثر الرحيل والترحال من مكان إلى آخر سعيا في طلب الرزق، كما تسببت ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية وأخرى جغرافية، إلى هجرة الصعاليك من ديارهم وقراهم، بل وحتى بلدانهم، والإقامة في أماكن أخرى غريبة عنهم، فارتبطت في شعرهم أماكن ألفة، وأخرى معادية لهم أدت بهم إلى الإحساس بالضياع والفقد.

أ. علاقة الصعاليك بالمكان المألوف:

المكان المألوف هو المكان الذي تأنسه النفس، وتركن إليه، ويدعو النفس إلى الطمأنينة والارتياح والرضا، لتوافر ما يحتاج إليه الإنسان في حياته اليومية [1]، كما يقر **غاستون باشلار** بقوله:" أن الإنسان دون المكان لاسيما البيت يصبح كائنا مفتتا لا استقرار له"[2]. فالمكان هو الذي يوفر الحماية للفرد، خصوصا عندما يشعرنا بالدفء، مثل البيت، "فحين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي، هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله". [3]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 173.

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ص: 45.

[3]- المرجع نفسه، ص: 38.

ومن خلال رؤية **غاستون باشلار** فهو يرجع المكان الذي تألفه النفس واعتادت عليه متمثل في البيت الذي نعيش فيه، لأن (البيت الذي ولدنا فيه، بيت مأهول وقيم الألفة موزعة فيه، وليس من السهل إقامة توازن بينها، إذ هي تخضع للجدل ... فالبيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل عادي، وفي داخلنا أنه يصبح مجموعة من العادات العضوية). [1]

لجأ الشعراء الصعاليك إلى الطبيعة من جبال ووديان وصحاري وغيرها، يحتمون بين أحضانها، علّها تغمدُهم بعطفها وودها وتوفر لهم الحماية من العدو الذي لطالما سعى في البحث عنهم لينكل بهم أشد العذاب، أو توفر لهم سبل العيش الكريم الذي لم يجدوه بين أهلهم وقراهم، ومعاناة الفقر التي لحقت بهم بسبب جور السلطان وسوء معاملة السعاة والولاة لفقراء القبائل، وإن أماكن الألفة في شعرهم لم تقتصر على الأماكن المغلقة كالبيت مثلا، مثل ما اعتبره **غاستون باشلار**، وإنما هي أماكن معينة تختلف بين ثنائية الرفض والألفة، حسب قدوم الخطر إليهم وحسب شعورهم بالضيق أو الطمأنينة، لأن الصعاليك عاشوا حياة غير طبيعية مطاردين منبوذين من قبل القبائل والعدالة، جعلت شعورهم بالألفة والرفض يتغير من لحظة إلى أخرى ومقترن بمدى اقتراب الخطر.

فها هو **القتال الكلابي** حينما خرج هاربا وأصحاب القتيل يطاردونه لحق بجبل عماية فآمن شرهم بالتخفي فيه، حيث قال:

جَـزَى اللهُ عنَّا والجـزاءُ بِكَفِّـه *** عِمَايـةً خَيراً أمَّ كُـل طريــدِ
فما يزدهيها القومُ إنْ نَزَلُوا بها *** وإن أرسلَ السُّلطانُ كلَّ بريدِ [2]

---

[1]– المرجع السابق، ص: 43.

[2]– القتال الكلابي، الديوان، تح: احسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، د.ط، 1989م، ص: 45./ عماية: جبل بنجد في بلاد بني كعب./ يزدهيها: يستخفون بها.

فمن خلال هذين البيتين يتبين أن **القتال الكلابي** شكر جبل عماية لأنه وفر له الحماية واعتبره كالأم الحنون التي تضم إلى صدرها كل شريد مطرود خائف، فجبل عماية كان له الملجأ الآمن والمألوف، والشعراء الصعاليك وقع اختيارهم على الصحراء والجبال حتى لو كانت هذه الأمكنة مقفرة مجدبة قليلة الزرع، إلا أنها سمحت لهم بالقدرة على الغزو والنهب للقوافل، كما ساعدتهم في كثير من الأحيان بالتخفي عن أعين العدو، فصاروا يألفونها ويرتضونها كمكان جديد يوفر لهم الأمان.

كما صور لنا **مالك بن الريب** الصحراء كمكان يأوي إليه كلما حلّ به الخطر، حيث قال:

أتجزع أنْ عرفتَ ببــطن قــوٌ *** وصحراء الأديم ورسـمَ دارِ ؟
وأن حلَّ الخليطُ ولستَ فيــهم *** مرابع بين ذَحْلَ إلــى ســرارِ
إذا حــلوا بــعــائجــةٍ خــلاءٍ *** تُقطَفُ نُورَ حَنْوَتِهـا العَذارى [1]

وجد الصعاليك في الصحراء الواسعة التي لا يمتد إليها النفوذ القبلي، خير موطن لتشييد صروح سلطانهم، وإقامة قلاعهم وحصونهم، التي كانوا ينطلقون منها أسرابا في مختلف الجهات يسلبون وينهبون، ثم يفرون عائدين إلى حصونهم آمنين[2]، فالصعاليك لا يجدون مكانا آمنا يلبي رغباتهم مثل الصحراء، التي نجدها حاضرة في كثير من أشعارهم، بل وحتى حيواناتها المتوحشة التي أضحت كالصديق القريب لهم، يستأنسون بها علّها تخفف عنهم شدة الاغتراب.

وفي هذا يقول **عبيد بن أيوب العنبري:**

---

[1]– مالك بن الريب، الديوان، تر: نوري حمودي القيسي، مج 15، ج 1، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، د.ب، د.ط، د.ت، ص: 30.

ذحل: واد يتصل بسرار من ديار بني مازن./ الحنوة: نبت طيب الريح.

[2]– حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ط، 1970م، ص: 45.

وَحَـالَفتُ الوُحُـوشَ وَحَـالَفَتنِـي *** بِقُـربِ عُهُودِهِنَّ وَبِالبِـــعَادِ
وَأَمسَى الذِّئبُ يَرصُدُنِي مِخَشًّا *** لِخِفَة ضَربَتِي وَلِضُعفِ آدِي[1]

فبعد ألفة الشاعر في هذا المكان (الصحراء) تبين أنه تحالف مع حيواناتها، فآنسته كأنيس البشر، بل وأصبحت هذه الحيوانات الموحشة في نظرهم حيوانات مسالمة وتخلو من الخطر، إنما الخطر مرتبط بقدوم الإنسان، وفي هذا يقول **الأحيمر السعدي:**

عَوى الذئبُ فَاستَأنَستُ بِالذئبِ إذْ عَوَى*** وَصَوَّتَ إنسان فَكِدتُ أَطِيـــرُ
رَأى اللهُ أَنِّـــي للأَنِيـــسِ لَشَانِـــئٌ*** وَتُبغِضُهُم لـــــي مُقلَةٌ وَضَميرُ
فلِـلَّيل إن وَارَانـــــي الليلُ حُـــكمـــهُ*** وللشَّمسِ إن غَابَت عَليَّ نـــذورُ [2]

فمن خلال هذه الأبيات، تبين أن الشعراء الصعاليك من كثرة هلعهم من الخطر الذي يحيط بهم من طرف الإنسان الذي يحمل سمات الرأفة، أضحى اليوم يحمل سمات الوحوش الضارية التي تقتفي آثارهم لتنكل بهم، فكان الإنسان هو المسبب في هذا الهلع لهم الذي يقوم به إما بزجهم في السجون مكبلين مقيدين أو بقتلهم، فتحول سماع صوت الحيوانات والوحوش أفضل بكثير من سماع صوت البشر، كما اعتبر الشاعر **الأحيمر السعدي** أن ضوء الصباح ونور الشمس رمز للخطر، لأنه يكشف عن أماكنهم في حين اعتبر الليل رمز للسلام والهدوء والطمأنينة، لأنه يصعب على العدو كشف أماكن تواجدهم ولهذا كثر الاستئناس بهذه الوحوش.

---

[1]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 391.

رصده رصدا: قعد له على الطريق يرقبه./ الآد: القوة./ المخش: الماضي الجريء على هول الليل.

[2]– المصدر نفسه، ص: 58.

عوى الذئب: لوى خطمه ثم صاح. / استأنس: أراد وحشته في وحدته./ الشانئ: المبغض الكاره./ المقلة: العين كلها./ واراه: أخافه./ التدور: ما يجوبه المرء على نفسه.

حاول الصعلوك والفاتك إظهار ما يحققه في هذا المكان الجديد من (صحراء وجبال ووديان ومراقب وغيرها)، لأن المكان الجديد ساهم وبشكل فعال في بناء مقوماتهم الجسمية (البدنية) والعقلية، وتحقيق الكثير من البطولات والمغامرات ليس مثلما حققه عندما كان وسط قبيلته ومع أفراد عشيرته، وفي هذا يقول **القتال الكلابي:**

عَفَا مِن آلِ خَرقاءَ السِّتَارُ *** فَبُـرقَةُ حَسـلَـةٍ مِنها قِفَـارُ
فَأَوحَشَ بعدنا مـنهَا حِبرٌ *** ولـم تُوقَد لَـها بِالذِّئْـبِ نَـارُ
لَعَمرُكَ إنني لأُحِبُّ أرضًا *** بـها خَرْقـاءُ لـو كانـت تزارُ
كـأَنَّ لِثَاتِهَا عَلَقَت عَلـيهَا *** فُرُوعَ السِّدرِ عَاطِيَـــةً نَـوارُ
أَطَاعَ لهَا بِمَدفَعِ ذِي سُدَيْرٍ *** فُرُوعَ الضَّالِ والسَّلَمُ القِصَارُ [1]

إن المكان المألوف في شعر الصعاليك هو ذاك المكان الذي وجد فيه الصعاليك ذواتهم وقوتهم باعتيادهم عليه، وهذا المكان متمثل في الصحراء والجبال، ولأن هذه الأماكن لا سلطة فيها على القوي، ولا وجود للتمايز الطبقي بين أفرادها، ورغم طبيعة البيئة الصحراوية القاسية، لكنها حققت لهم الإحساس بالانتماء إليها، وحققت لهم حياة كريمة بعيدة عن الذل والهوان، أو انتظار صدقة السلطان، فهم وجدوا فيها الحرية التي سعوا إليها، ورغم ألفتهم بالصحاري والجبال ووحوشها إلا أن هناك من الصعاليك من تحول مكانهم المألوف الجديد إلى مكان مفروض وذلك بسبب الخوف والخطر الذي يهددهم من قبل الأمويين.

---

[1]– ديوان القتال الكلابي، ص: 51.

الستار: جبال سود صغار لبني أبي بكر بن كلاب./حبر: موضع متصل بالذنائب./ الذئب: موضع في بلاد كلاب./ علقت فروع السدر: رعتها من أعلاها وناولتها بأفواهها./ عاطية: متطاولة./ النوار: الظبية النفور./ أطاع لها: أمكنها ولم يمتنع عليها./ مدفع: مكان اندفاع الماء وجريانه./ ذو سدير: واد لبني غطفان.

ب. علاقة الصعاليك بالمكان المعادي:

بالمقارنة بين المكان المألوف والمكان المعادي أو المرفوض، فإن المكان المعادي هو الذي ينعدم فيه الإحساس بالأمان والراحة والطمأنينة، فهو (يثير في النفس مشاعر الخوف لما ينطوي عليه من عداء وكراهية حيث ينتفي الشعور بالأمن وينعدم الإحساس بالألفة والانتماء) [1]، وبالرغم من وجود أمكنة تشعرنا بالطمأنينة والأمان، وأخرى بالخوف والخطر والرهبة، فإن هناك أمكنة في نظر البعض تحمل دلالات الألفة والاستئناس، وفي نظر البعض الآخر تحمل دلالات العداء والرفض، كل بحسب شعوره وتجربته في هذه الأمكنة، فكذلك الصعاليك فهم بعد طرد قبائلهم لهم وشعورهم بالدونية من طرف قادة الدولة الأموية، أصبحت هذه الأمكنة بعد أن كانت موطن ذكرياتهم وصباهم وفتوتهم، وبين أهلهم وأحبابهم، اليوم أمكنة عداء ورفض لأن قبائلهم هم من ساهموا في إخراجهم من دائرة حماهم بعد أن خلعتهم لهذا نلتمس في أشعارهم الكثير من الحقد والأسى عمّا فعلت بهم قبائلهم وفي هذا يقول **القتال الكلابي:**

هَل مِن مَعَاشِرَ غَيركُم أَدعُوهُم *** فَلقَد سَئِمتُ دعاءَ يَا لَكِـلَابِ

وَلقَد لَحَنْتُ لَكُم لكَيـْـما تَفقَهُـوا *** وَوَحَيْتُ وحياً ليسَ بالمُرتابِ[2]

فنظرة الشعراء الصعاليك السلبية لأماكنهم القديمة ليست بسبب الأماكن، وإنما بسبب النظام الذي يسود في تلك الأمكنة، وبسبب إحساسهم بالذل وهوان المنزلة من طرف قادة القبيلة وحلفائها أو من طرف الدولة، فهنا نلاحظ تحول الأماكن المألوفة سابقا إلى أماكن معادية الآن، وفي مثل ذلك يقول **السمهري العكلي:**

---

[1]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 231.

[2]– ديوان القتال الكلابي، ص: 36.

لحنت لكم: عرضت وكنيت./ وحيتُ: أشرت إشارة خفيفة./ بالمرتاب: بمعنى الارتياب.

أَلَا لَيتَنِي مِن غَيرِ عُكلٌ قَبِيلَتِي *** وَلَم أَدْرِ مَا شُبَّــانُ عُكْلٍ وَشِيـبُهَا
قَبِّيــلَةٌ لَا يَقــرَعُ البَابَ وَفــدُهَا *** بِخَيرٍ وَلَا يَأتِــي السَّـدادُ خَطِيبُهَا
فَإِن تَكُ عُكْلُ سَرَّهَا مَا أَصَابَنِي *** فَقَد كُنتُ مَصبُوبًا عَلَى مَن يُرِيبُهَا [1]

ولما رفض الصعاليك مكان القبيلة وعدوه مكانا معاديا لهم، لأنهم لم يجدوا فيه تحقيقا للمساواة بين جميع أفرادها، وإنما احتقارا للبعض وتمجيدا للبعض الآخر فكان تمردهم على قبائلهم بمحاولة تغيير مبادئها بمحاربتها مثل ما رأيناه عند الصعاليك السياسيين، فبطبيعة الحال رفضهم لمكان القبيلة يستلزم بالضرورة رفضهم للبيت الذي هو جزء من مكان القبيلة، باعتبار جلوسهم في البيت يعد مهانة وذل بالنسبة لهم طامعين أن يرأف بهم جور السلطان من ماله وطعامه، فالبيت عندهم محل للجبن والضعف بل أخذوا يقطعون في الفلوات معتمدين على سبل الإغارة والفتك لنيل العيش الكريم، فالصعلوك بطبعه يرفض الأمكنة التي تشعره بهوان المنزلة، وتذيب جليد روح المغامرة فيه، وخير من يمثل هؤلاء الصعاليك في ترك مكان القبيلة **مالك بن الريب** حينما يقول:

وَمَا أَنَا كَالعَيْرِ المُقِيـمِ لِأَهلِـــهِ *** عَلَى القَيْدِ فِي بُحبُوحَةِ الضَّيْمِ يَرتَعُ[2]

فهو يرفض البقاء في قومه لأنه يشعر بالذل والمهانة بينهم، ويرفض من خلال قوله أن يشبه بالحمار الذي يرتع مما وجده في الأرض، وإنما يريد أن يكسب لقمة عيشه بقوته وشجاعته وحريته.

أشرنا من قبل إلى أن هناك أماكن مألوفة تتحول إلى أماكن مرفوضة أو العكس وذلك بحسب تجربة الشخص وشعوره، وبما أن الصحراء كانت مكانا ألفه بعض

---

[1]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 272.
السداد: الصواب./ يريبها: يؤذيها.
[2]– المصدر نفسه، ج2، ص: 165.
العير: حمار الوحش./ بحبوحة الدار: وسطها./ الضيم: الظلم./ رتعت الماشية: أكلت ما شاءت.

الشعراء الصعاليك وفيها شعروا بالحرية والقدرة على الإغارة للقوافل والتخفي عن أعين العدو، فإن الصحراء قد تتحول في بعض الأحيان إلى مكان مرفوض نظرا للخطر الذي يهدد هؤلاء الشعراء في العصر الأموي، وهذا ما نلمسه في قول **مالك بن الريب:**

أَدلَجْتُ فِي مُهْمةٍ مَا أَن أَرَى أَحَدًا *** حَتَى إِذَا حَـانَ تَعرِيــسٌ لمَنْ نَزَلا
وَضَـعتُ جَنبِي وَقُلتُ الله يَكلَؤُنِـي *** مَهمَا تَنمْ عَنكَ مِن عَينٍ فَمَا غَفَلاَ
وَالسَّيفُ بَينِي وَبينَ الثوبِ مُشعِرُهُ *** أَخشَى الحَوادِثَ إِني لَم أَكُن وَكَلَا
مَا نِــمتُ إِلَّا قَلِيــلاً نِمتُهُ شَئِــزًا *** حــتَّى وَجَدتُ عَلَى جُثمَانِي الثِّقَلَا [1]

يتبين من خلال هذه الأبيات أن الشاعر الصعلوك كان يخشى الخطر حتى وهو في الصحراء، ولا ينام إلا قليلا يرتقب الأعداء، كما لا يترك سيفه أثناء نومه، فهو معه أينما حلّ.

والمتصفح لدواوينهم الشعرية يجد أسماء الأماكن التي كنّوا لها العداء ورفضوها، ومن أمثلة هذه الأمكنة السجن والقبر، وأما السجن باعتباره ظاهرة بارزة بكثرة في أشعارهم وما يولده من شعور الأسى والحنين فضلنا أن نفصّل في دراسته في مبحث آخر ونمعن في شرحه لاحقا.

يعد القبر مكان مخيف لا يحبذه أي إنسان، لأنه رمز للفناء وانقطاع للحياة، كما يعتبر مصدر للخوف والضيق والظلمة، ونظرا لهذا النفور من القبر (المكان المغلق)، تحدث عنه الشعراء الصعاليك في كثير من أشعارهم بوصفه ظاهرة غير

---

[1]– ديوان مالك بن الريب، ص: 19.

أدلجت: سرت ليلا./ المهمة: الفلاة بعينها لاماء فيها ولا أنيس./ التعريس: نزول القوم في السفر آخر الليل للإستراحة./ يكلؤوني: يحفظني ويرعاني./ المشعر: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من ثياب./ وكل: ضعيف عاجز./ النوم الشئز: القلق.

مرغوبة، ومعادية لكيانهم، ومكان القبر عند **عبيد بن أيوب العنبري** يشعره بالخوف من المصير المنتظر، وفي قوله:

إنِّي لَأَعلَمُ أَنِّي سَوفَ يَترُكُنِي *** صَحبِي رَهِينَةُ تُربٍ بَينَ أَحجَارِ
فَردًا بِرَابِـيةٍ أَو وَسَطَ مَقبـرَةٍ *** تَسْفِي عَليَّ رِيَاحُ البَارِحِ الذَّارِي [1]

فمن خلال هذين البيتين نلمس شدة خوفه من المصير المجهول، فالقبر أشد وطأة على نفسيته وفكره، منه يدرك هول المكان ورعبه، كما يصور **مالك بن الريب** شدة هلعه من الموت وحيدا بعيدا عن وطنه وأهله لأنه في موقف أدرك من خلاله بِدُنُوِّ أجله، فما كان منه إلا أن رثى حاله وبكاها في يائيته المشهورة، وفيها يقول:

إذا مِتُّ فَاعتَادِي القُبورَ وَسَلِّمِي*** عَلى الرَّمسِ أُسقِيتِ السَّحَابَ الغَوَادِيَا
عَلَى جَدَثٍ قَد جَرَت الرِّيحُ فَوقَه*** تُـرَابًا كَسُـحقِ المَرنَبَـانِي هَـابِيَا
رَهِيـنَةَ أَحجَـارٍ وتُربٍ تَضَمَّنَتْ*** قَـرارُتُـها مِنِّـي العِظَـامَ البَـوَالِيَا [2]

ومن خلال قوله ندرك ألم هذا الشاعر وحزنه ببعده عن أرضه، إذ سيموت وحيدا غريبا عن وطنه، فكانت آخر كلماته توحي بالرفض والعداء للقبور لأنها تبعده عن حياته التي سعى إليها وعن أهله وذويه وأصحابه وعن شجاعته ومغامراته، والشاعر هنا يدعو أهله لإعلامهم بموته وأنهم لن يجدوا مكان قبره لذلك عليهم التسليم على كل قبر مروا في طريقه عله في أحدها.

---

[1]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 397.
رهينة ترب: رهينة القبر./ تسفي عليه: تهب عليه بالتراب والغبار./ البارح: الريح الشديدة.
[2]– المصدر نفسه، ج2، ص: 183_184.
الرمس: القبر./ المرنباني: من وبر الأرانب./ القرارة: بطن الوادي حيث يستقر الماء./الهابي: ما ارتفع ودق من التراب./ رهينة أحجار: أي في القبر على الترب والحجارة.

3. الاغتراب عن الديار والوطن:

رأينا في المبحث السابق أن الشعراء الصعاليك ألفوا المكان الجديد وشعروا بالانتماء إليه، لأن هذا المكان حقق لهم رغباتهم التي لم يجدوها في قبائلهم وبلدانهم، كما تكلمنا عن الأماكن المعادية التي تمثلت في القبر وأماكن القبيلة أو البيت الذي اعتبروه رمز للضعف وهوان المنزلة إن استمروا في العيش فيه وفي وسط أماكن القبيلة، معتمدين على فتات السلطان يلتمسون عطفه وحنانه في استرزاقهم. **لكن يا ترى هل استمرت هذه النظرة في أشعارهم ؟ أم تغيرت مع تغير الدهر عليهم وشدة معاناتهم في الغربة ؟**

أ. اغتراب الهجرة والمنفى:

من يفتش تاريخنا العربي أو بالأحرى تاريخ الصعاليك، يجد أن كل الذين هاجروا عن بلدانهم إنما نتيجة لإحساسهم العميق بالذل والهوان، كما ساهمت أسباب في دفعهم للهجرة منها الأسباب الاقتصادية كالفقر، والأسباب السياسية كالظلم وجور السلطان ونظام السياسة الفاسدة، التي لا تحقق لهم الأمان، أو راجع إلى أسباب اجتماعية وذلك بإحساسهم الدائم بعدم الانتماء ورفض قبائلهم لهم وقطع رابطة الدم، فيكون عقابهم النفي والتشريد، ومن هنا نصل أن هجرة الصعاليك وفتاك العرب كان محصلة هذه الأسباب فهم غادروا أوطانهم بطرق قهرية، ارتضوا لأنفسهم الرحيل والبعد علّهم يجدون في أرض الله الواسعة من يعيلهم على أعباء الحياة، أو من يتقبلهم أو يختاروا طريقا يحقق لهم العيش الكريم وذلك بالاعتماد على قواهم.

والشعراء في مغادرتهم أوطانهم كانوا يغادرونها على كره منهم، ومن ثم يحسون بالانكسار والحزن، لأنهم كانوا يغادرون أشياء كثيرة غير هذه الأشياء المادية التي تحيط بهم. [1]

فما سمي المهاجرون مهاجرين إلا لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها، ولحقوا بديار ليس لهم بها أهل ولا مال فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلد آخر فهو مهاجر[2]، فوطن الإنسان هو مسقط رأسه، أو مكان سكن أهله وأقاربه، أكان خيمة أو منزلا، ربعا أو مغنى، إنه المكان الذي أمضى فيه المرء طفولته وفتوته. [3]

والعربي اشتهر بحب وطنه ومسقط رأسه، فكان البعد عنه يفيض بمشاعر الشوق والحنين إليه، "ومنذ القدم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعا في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين"[4]، ولارتباط لفظة الحنين بالوطن، نظرا للعلاقة القائمة بين الإنسان ووطنه، بل وحتى مع باقي الكائنات الحية، قالت العرب:" إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه"[5]، وقال آخر:" عسرك في دارك أعز لك من

---

[1]– عبده بدوي، الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، مج 15، العدد1، وزارة الإعلام، الكويت، 1984م، ص: 14.

[2]– سعيدة قفصي، نريمان بن خدومة، الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، أسبابها وانعكاساتها على الحركة الوطنية (1830م_1914م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة الجيلاني بونعامة خميس مليانة، الجزائر، 2016_2017، ص: 10.

[3]– وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، مصورات عبد الرحمان النجدي، د.ب، ط1، 1976م، ص: 285.

[4]– يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص: 10.

[5]– أبو عمرو بن بحر الجاحظ، الحنين إل الأوطان، تح: أبو سلوم المعتزلي، دار الرائد العربي، بيروت_لبنان، ط2، 1982م، ص: 9.

يسرك في غربتك"[1]، وقيل لبعض الأعراب:" ما الغبطة؟ قال: الكفاية من لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل له فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان"[2]، وفي هذا جاء قوله تعالى:" وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ "[3].

ومن هنا نرى أن الوطن كان دائما الملاذ والملجأ الآمن الذي تهواه النفوس وتأبى البعد عنه، وتشتاق إليه إن ابتعدت عنه أو اغتربت منه لأسباب قهرية أو اختيارية، فكان الوطن بالنسبة للإنسان بمثابة الروح مع الجسد.

وفي عصر بني أمية.. بدأت الجماعات المهاجرة في أعقاب الجيش تأخذ مكانيا في هذه الأرض، وتأخذ حياة الاستقرار في الأماكن المفتوحة الجديدة، ولقد شغل الانتقال من تدفق الهجرة والتنقل والاختلاط إلى الهدوء والاستيطان والتمركز... وشغل هذا الانتقال دورا هاما في ظهور علاقة جديدة لهؤلاء المهاجرين (المستوطنين) مع الأرض وأدى إلى إخلادهم لها بل وتعلقهم بها ودفاعهم عنها، وتغيرت طبيعة الحياة خارج حدود الجزيرة العربية، فانقلبت المعسكرات إلى أن تكون مدنا، وانقلب الفاتحون البداة إلى سكان مدن يتملكون الأرض، وفي ظل ما تقتضيه حياة الخلافة الجديدة. [4]

ففي هذا العصر بالذات اتسعت الرقعة الجغرافية بسبب الفتوحات الإسلامية وتنقل العرب في ظلها، واتسع مفهوم المكان لديهم، فتحولت بلاد العرب من شبه الجزيرة العربية وما يجاورها من بلدان عربية إلى كل المناطق التي تضمها الخلافة الأموية الإسلامية، وأضحت اليوم يطلق عليها مدن وولايات وأماكن للحاكم وبلدان بعد أن كانت أحياء وقرى وأماكن للقبيلة.

---

[1]- المصدر السابق، ص: 9.

[2]- المصدر نفسه، ص: 38_39.

[3]- سورة النساء، الآية: 66.

[4]- وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص: 192.

كانت غربة العربي سواء الحضري أو البدوي شديدة، " فاغتراب الإنسان عن وطنه هو متى شعر بأنه فقد جزءا من ضروراته التي يتوافق بها مع نفسه في محيطه الجديد أو مع هذا المجتمع الذي انتقل إليه وعبر عن شيء من ذلك في شعره". [1]

وتتمظهر أنات الاغتراب المكاني في كثير من شعر الصعاليك، فها هو **الخطيم المحرزي** يعبر عن غربته حينما قال:

أَلَا لَيتَ شِــعرِي هَل أَبِيــتَنَّ لَيْلَــةً** بِأَعلَــى بليٍّ ذِي السَّــلام وَذِي السِّدرِ
وَهَل أَهبِطَن رَوضَ القَطَا غيرَ خَائِفٍ** وَهل أُصبِحَنَّ الدهرَ وَسْطَ بَنِي صَخرِ
وَهَل أَسمَعَنْ يومًــا بُكَــاءَ حَمَــامَةٍ** تُنَادِي حَمَامًا في ذرى تَنضُــبٍ خُضَرِ
وهل أَرَيَــنَّ يَومًا جِيَــادِي أَقَــوُدُهَا** بِذاتِ الشُقُــوقِ أَوْ بِأَنْقائِــها العُفَــرِ [2]

فهذا النص يحيل إلى رغبة الشاعر بالعودة إلى مراتع صباه وطفولته التي ترك فيها ذكرياته الجميلة مع أحبائه، فهو يتمنى العودة إلى تلك الأيام، كما يتمنى زيارة تلك الأماكن التي يقطن فيها أهله وأحبائه، والقضاء فيها ولو ليلة واحدة، وما سبب هذا الشوق والحنين إلا شدة معاناته في البعد عن الديار وما لقيه في حاضره، فتعود به الذاكرة إلى أحداث الماضي، وما يفعل ذلك إلا ليخفف عنه وطأة الاغتراب.

كما يصوّر لنا **الأحيمر السعدي** حنينه إلى الوطن والأهل مسترجعا ذكرياته السابقة في موقف يواجه فيه نخلة أثارت لواعج عاطفته حيث يقول:

لئِن طَالَ لَيلِــي بِالعِـرَاقِ لَرُبَّمَا *** أَتَى لِــي لَيــلٌ بِالشَّــآمِ قَصِيــرُ
معِي فِتيةٌ بِيضُ الوُجوهِ كَأَنَّهُم *** عَلى الرَّحلِ فَوقَ النَاعِجَاتِ بُدُورُ

---

[1]– عبد الله بن سليمان، تجليات الاغتراب في شعر طرفة بن العبد، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، العدد2، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، 2016م، ص: 374.

[2]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، مج1، ج1، ص: 161.

بلي: تل قصير أسفل حادة./ السدر: نوع من الشجر./ روض القطا: من أشهر رياض العرب وأكثرها دورا في أشعارهم./ تنضب: شحر حجازي شوكه كشوك العوسج.

أَيَا نَخـلَات الكرَمِ لَا زَالَ رَائِحًا *** عَليكُـنَّ منهَـلٌ الغِمــامِ مطيــرُ
سُقِيتُنَّ مَادَامَت بِكرمَـان نخلةٌ *** عــوامرَ تَجْـرِي بَينَـكُنَّ بُحُــورُ [1]

فالشاعر هنا بقي مشتتا بين الأماكن، وارتضى لنفسه الاستقرار والعيش الكريم، بعيدا عن حياة المطاردة والخوف، فلم يسعه ذلك إلا الإبحار في دهاليز الماضي، مصورا مشاعر الشوق والحنين إلى الوطن.

وهناك صعلوك آخر تمنى العودة إلى دياره وبلاده بعد أن تاب من حياة اللصوصية والفتك، وبعد أن اشتد عليه ألم الشوق والحنين لأهله ولمرابع وطنه، ولكن هذه الأمنية أضحت من المستحيلات، فوطنه يبعد عنه أميال وجسمه أصابه الهزال وضعف الحركة نتيجة قرب وفاته، فكانت أمنيته الأخيرة أن يموت بين دفتي أرضه وقرابة أهله وزوجه، حيث قال **مالك بن الريب:**

أَلَا لَيتَ شِــعرِي هَـل أَبِيــتَنَّ لَيْلَـــةً** بِجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركبُ عرضَـه** وليتَ الغضا ماشــى الركـابَ ليــالـيا
وليت الغـضا يوم ارتحـلنا تقاصـرت** بطول الغضـــا حتــى أرى من وائــيا
لقد كان في أهلِ الغضا لو دنا الغضا** مـزارٌ ولكـنَّ الغضـــا ليـس دانــيـا
ألم ترنـــي بِـعتُ الضــلالة بالهـدى** وأصبحت في جيش بن عثمان غازيا
.. تذكــرتُ من يبكــي علــيَّ فلم أجدْ** سـوى السيف والرمح الرديـنيِّ باكيــا
أقــول لأصحـــابي ارفعونـــي فإنــه** يقر بعينـــي أن ســـهيل بـــدا ليــا
.. غريب بعــيد الدار ثـــاو بقفـــرة** يد الدهر معروفا بــأن لا تـــدانيــا[2]

---

[1]– المصدر السابق، ص: 97.

الناعجات: الناقة البيضاء السريعة./ كرمان: ولاية مشهورة كبيرة بين فارس ومكران وسجستان.

[2]– المصدر نفسه، ص: 318.

الغضا: موضع وقيل شجر ينبت في الرمل./ أزجي: أسوق./ القلاص: الفتية من الإبل./ النواجي: السراع./ ماشي: أي سايره./ الركاب: الإبل./ الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة.

فمن خلال أبياته هذه يتمنى الشاعر المبيت ولو ليلة في ذلك الوادي الذي يضم أهله وزوجه، كما نجد أن الشاعر عبر عن ما يمر به في تلك اللحظة كما أعاد شريط ذكرياته التي قضاها في التصعلك ممزوجة بمشاعر الحزن والأسى والشوق والحنين إلى الديار والوطن حتى طلب من رفاقه أن يرفعوه عله يرى سهيلا من هناك فيخفف عنه، فمن خلال هذه الأبيات نلتمس شدة العجز الذي يعانيه الشاعر في بلاد الغربة.

فكانت قصيدته المسماة برثاء النفس من أغنى القصائد تعبيرا عن شدة الاغتراب المكاني بل وهي مثال صادق عن ما تثيره نفسه من أشجان وعواطف زادت القصيدة جمالا.

كان التشرد في الفلوات والقفار أشبه ما يكون بالحالة الطبيعية التي عاشها الشعراء الفتاك في العصر الأموي، وأسباب هذا التشرد راجع إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أو السياسية للعصر الأموي، وما بدأت تتشكل فيه من بوادر ومتغيرات كبيرة الأثر في سكان المنطقة التي عاش هؤلاء الشعراء في رقعتها. [1]

فنلاحظ في كثير من أشعارهم معاناتهم في المنفى وتشردهم في الفلوات، ساهم في شدة الخوف والاضطراب، وصار منهم من يتمنى العودة إلى الحياة السابقة قبل التصعلك، وطلب الاستقرار والهدوء، كما يكثر **طهمان بن عمرو الكلابي** من ترديد لفظة الغربة في أبياته، حيث يقول:

وَإِنِّي والعَـبْسِيَّ فِي أَرضِ مَذحَـجٍ *** غَريبَانِ شَتَّى الدَّار مُختَلِفَانِ
غَريــبَانِ مُــجْفُوَّانِ أكثَــرُ هَــمِّنَا *** وَجَـيْفُ مَطَـايَانَا لِكُلِ مَكانِ

[1]– ينظر: عبد المطلب محمود، الإبداع والاتباع في أشعار فتاك العصر الأموي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003م، ص: 41.

وَما كَانَ غَضُّ الطَّرفِ مِنَّا سَجِيَّةً *** ولكـنَّنَا فِــي مَذْحَـجٍ غُربَـانِ [1]

ومن هنا نرى أن بوادر الغربة المكانية تجلت في كثير من أشعار الصعاليك، وما سببها إلا الشوق والحنين على فراق الأحبة وأماكن تواجدهم وعلى فراق الوطن، وما خلفته الهجرة القهرية والنفي والتشريد لهؤلاء الصعاليك حتى تمنوا الرجوع إلى حياتهم السابقة قبل التصعلك والعيش بسلام، في أماكنهم السابقة التي تركوها لأسباب معينة، لأنهم تعبوا من حياة المطاردة والتخفي وأدركوا أن حاضرهم لا أمل فيه، فأضحى الوطن بالنسبة لهم يسكنهم بعد أن كانوا يسكنونه، وهذا ما يسمى بسجن الغربة، فرغم ما حققوه وهم أحرار في بلدان ومناطق أخرى يفعلون ما يرضيهم، إلا أنهم أسيرون بقلوبهم، والآن سنفصل في دراستنا عن غربة السجن وهي ضد سجن الغربة، فتكون الأجساد فيها مقيدة أسيرة مع الفؤاد فتشتد وطأة الاغتراب، **فكيف ساهم المكان المغلق (السجن) في التعبير عن اغترابهم في كثير من قصائدهم؟**

ب. غربة السجن:

السجن عقوبة معروفة ضاربة في القدم، عرفه الإنسان منذ استوطن الأرض وبدأ في عمرانها، ولكن طرق تنظيم هذه العقوبة وأساليب تنفيذها ووسائلها هي التي عرفت اتساعا وتطورا مع اتساع الحضارة وتكون المجتمعات، تبعا لتغير الظروف والأفكار[2]، وباعتبار ظاهرة الأسر والسجن قديمة منذ قدم الإنسان، فقد وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة لقصص الأنبياء لقوله تعالى:" قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

---

[1]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 370_371.

إني والعبسي معي في بلاد مذحج كرجلين غريبين دارهما مختلفة متباعدة./ المجفو: هو الذي لا يلزم مكانه./ الجيف: ضرب من سير الإبل والخيل./ المطايا: جمع مطية./ السجية: الطبيعة./ الغربان: ليسوا من القوم./ غض الطرف: كف البصر.

[2]– سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة_الجزائر، 2006_2007، ص: 30.

مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ "[1]، كما جاء في قصة **موسى**عليه السلام من تهديد **فرعون** له، بقوله تعالى:" قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ "[2].

فالسجن بؤرة الحصار المكاني بل ويمكن عده نقيضا لباقي الأمكنة، إذا كانت الأمكنة الأخرى تحاصر الذات معنويا وفكريا بحصار تعيشه هذه الذات على مستوى الوعي، فإن حصار السجن فضلا عن ذلك حصار مادي يعاش فيه على مستوى الجسد كفعالية حيوية، وهو تصعيد لمفهوم العقوبة، بخلاف الأمكنة الأخرى التي تعد تعبير عن حضور الروادع الاجتماعية المتعارف عليها[3]، وصحيح أن السجون كانت معروفة قبل العصر الأموي، لكنها لم تكن سوى إحدى غرف بيت الخليفة أو الوالي، أو على شكل حفر أو آبار مظلمة يلقى فيها المسجون إلى حين مجيء الأجل أو الفرج[4]. **فكيف برزت ظاهرة السجون في عصر بني أمية خصوصا مع مجيء الإسلام؟ وما شدة وطأة غربة السجن على الشعراء الصعاليك في هذا العصر؟**

لقد سن **معاوية** شريعة ولاية العهد، وأصبحت الخلافة وراثية من أموي إلى آخر، وكل خليفة منهم ينكل بالعلويين والهاشميين بخاصة، وأتباعهم بعامة، ولم يقتصر التنكيل على هؤلاء، بل وصل إلى كل معارض لحكم بني أمية، وبين الأمويين أنفسهم وذلك من أجل الخلافة، وكانت الخصومة السياسية تزداد عنفا مع مرور الأيام، حتى أصبح القتل والسجن والعذاب أمرا مألوفا تمارسه الفئة الحاكمة. [5]

---

[1]– سورة يوسف، الآية: 33.

[2]– سورة الشعراء، الآية: 29.

[3]– إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، دار تموزة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013م، ص: 288.

[4]– عبد المطلب محمود، الإبداع والاتباع في أشعار فتاك العصر الأموي، ص: 58.

[5]– واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 1995م، ص: 39.

وقد برزت موضوعات السجون بأسمائها ومواقعها ووصف الحياة في داخلها والوسائل المستخدمة للتقييد أو المعاقبة فيها، فضلا عن أنواع العقاب والظروف والمعاناة النفسية والجسدية، في كثير من أشعار الصعاليك لكونهم أول من جرب الحياة في أعماقها خلف أبوابها الموصدة، وبين جدرانها وكانت حياة غير مسبوقة من قبل، وكانت غريبة عكست وطأة ثقيلة على من عاشها أو تعرض لها [1]، والمتصفح لدواوين أشعار الصعاليك، يجد هذه الظاهرة بارزة بكثرة إذ عانت الخوف والهلع، والشوق والحنين خلف أبوابها وبين جدرانها كما عانت من الغربة المكانية أملا بالحرية خارج السجون.

يقول **يعلى الأحول الأزدي** معبرا عن شوقه وحنينه إلى بلاده ويتمنى لو يفك من السجن ويتحرر، حيث يقول:

أَرَقْتُ لِبـــرقٍ دُونَـــه شَـــدَوَانِ *** يَمانٍ وَأَهوَى البَـرْقَ كُلَّ يَمانِ
فَبِتُّ لـدَى البَيْتِ الحَـرَامِ أَشِيـمُـهُ *** وَمـطوَايَ مِن شَوقٍ لَـهُ أَرَقَانِ
إِذَا قُلْتُ: شَيمَاهُ، يَقُولَانِ، وَالهَوَى *** يُصَادِف مِنَّا بَعضَ مَا يَرَيَـانِ
أَلَا لَيْتَ حَاجَاتِي اللَّوَاتِي حَبَسْنَنِـي *** لَدَى نَافِعٍ قُضِّـينَ مُنـذُ زَمَـانِ
وَمَا بِيَّ بُغضٌ لِلبِـــلَادِ وَلَا قِلَّـــى *** وَلَكنَّ بَرْقًا فِي الحِجَازِ دَعَانِي [2]

فمن خلال هذه الأبيات يتبين لنا أن **الأحول الأزدي** تفيض مشاعره في الحديث عن موطنه وشوقه إليه، وحنينه إلى الطبيعة الخلابة وإلى سمائها ورعودها وبرقها وأشجارها، فحبسه في سجن مكة أدى إلى فيض هذه المشاعر في أبياته، فصور لنا **الأحول الأزدي** صورة صادقة من داخل السجن أعطت جمالا وجدانيا وأدبيا يعبر عن صدق العاطفة وما تمر به في تلك الحقبة من الزمن.

---

[1]– ينظر: عبد المطلب محمود، الإبداع والاتباع في أشعار فتاك العصر الأموي، ص: 57.

[2]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، مج1، ج1، ص: 17_18_20.

شدوان: موضع حبس فيه الشاعر.

فأدب السجون هو تلك الآثار الأدبية التي تكشف عن مكنون عالم السجن، بكل ما فيه من ويلات وأهوال ومعاناة، وما خلفه ذلك من تأثير على من ابتلى به نفسيا وجسديا، ذلك أن هذا الأدب قد خط وقيل بين جدران السجن القاتمة، وفي سراديبه المعتمة. [1]

كما يصوّر لنا **جحدر بن معاوية العكلي** صورة حقيقة لمعاناته خلف أبواب السجن وشدة العقاب الذي يناله فيه، وفي هذا يقول **جحدر بن معاوية العكلي:**

يا ربّ أَبغَضُ بَيتٍ أَنتَ خَالِقُهُ *** بَيتٌ بكـوفانَ مـنهُ أَشْعلَتْ سَقَـرُ

مَثوى تَجَمَّعَ فِيـهِ النَّـاسُ كُلُّهم *** شَتَّـى الأُمُورِ، فَلا وِردٌ وَلَا صـدرٌ

دَارَ عَلَيهَا عفاءُ الدَّهرِ موحشةٌ *** مِن كُلِّ إنسٍ وَفِيهَا البدّوُ وَالحَضرُ [2]

ومن خلال هذه الأبيات نرى شدة الألم الذي عاناه الشاعر، حتى اعتبر أن السجن الذي فيه أشد عذابا من نار جهنم، وذلك باستخدامه لكلمة (سقر) التي تعني واد بجهنم، ما جعله يطلب هدمه لكي لا يمر إنسان مثلما مر معه.

وهو حين يعارض السلطة ويلقى القبض عليه يزج في السجن، وقد تطول معاناته، فيطمح في الحرية عن طريق الهرب إلى الصحراء، لكن يجد أمامه أغلالا وقيود تمنعه من الفرار، إلا أن الرجاء لا ينقطع، فكلما سُمِع صوت الباب اهتزت الأعناق أملا بالإفراج عنها، وفيه يقول **جحدر** أيضا:

يَا صَاحِبَيَّ وبابُ السِّجنِ دُونَكُـمَا *** هَل تُؤنِسَانِ بِصَحرَاءِ اللَّوَى نَارًا

لَوى الدخول إلى الجرعَاء مُوقدُهَا *** وَالنَّارُ تـبُدِي الحَاجَـاتِ أَذكَـارًا

---

[1]– مي أحمد يوسف، أدب السجون في العصر العباسي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج 10، العدد2، جامعة اليرموك، إربد_الأردن، 1995م، ص: 80_81.

[2]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، مج1، ج1، ص: 183.

إذَا تَحَرَّكَ بَــابُ السِّــجنِ قَـامَ لَهُ *** قَومٌ يمُـدُّونَ أَعنَــاقًا وأبصـــارًا [1]

ومن الشعراء الصعاليك والفتاك الذين لحقتهم أنات الاغتراب، عندما وقعوا في فخ السلطة الأموية، فترمي بهم في السجن، الشاعر **السمهري بن بشر العكلي** أيضا، حيث يقول:

فَمَنْ مُبلِغُ عَنِّـــي خَلِيلِــي مَالِكًا *** رِسَــالَةً مَـشدُودِ الوِثَــاقِ غَريــبِ
وَمنْ مُبلِــغُ حَزمًــا وَتَيـمًا ومَالِكًا *** وَأَربَابَ حَامي الجفرِ رَهطَ شَبيبِ
لِيَبْلُوا التِي قَالتْ: بِصحراءِ منعجٍ *** لِي الشَّركُ يَا ابني فَائِدَ بَنِ حَبيبِ [2]

ومن خلال هذه الأبيات نلتمس أنات الاغتراب المكاني في أبياته، فهو يبين أن السجن حرمه من حريته، وشدّ وثاقه، فاغترب عن أهله وأصدقائه وبلاده واصفا كيف قبض عليه، داعيا أصدقائه **تيم** و**مالك** و**حزم** بالانتقام له، ويقول في موضع آخر واصفا غربة السجن والبعد عن الديار بقوله:

أَلا أيُّها البَيتُ الذي أَنـا هَـاجِرُه *** فَلا البَيتُ مَنسِيٌّ وَلَا أَنا زَائِـرُهُ
أَلَا طَرَقَتْ لَيلَى وَرِجلِي رَهيــنةٌ *** بِأشهَبَ مشدودٍ عَليَّ مَسَامِـرُهُ
.. رَأيتُ غُـرابَا سَاقِطًا فَـوقَ بَـانةٍ *** يُنَشنِشُ أَعلَى رِيشِهِ وَيُطَايـرُهُ
فَقَالَ: غرابُ باغترَابٍ مِنَ النَّوَى *** وَبانٌ بِبَين مِن حَبيبٍ تُحَاذِرُهْ
فكَانَ، اغتــرابٌ بالغُـرابِ وَنِـيَّةٌ *** وَبالبَـانِ بَيْنُ بَيِّنُ لَكَ طَــائِرُهْ [3]

---

[1]– المصدر السابق، ص: 184.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص: 35.

ابن فائد: الرجلان الذي قبضا عليه مع أختهما./ الجفر: موضع./ مالك وحزم وتيم: أصدقاؤه./ منعج: واد في رسم ضرية وخزاز حيث قبض على السمهري.

[3]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 275./ الأشهب: الأبيض./ البانة: ضرب من الشجر./ ينشنش: ينتفه بمنقاره./ الونية: الوجهة من السفر.

ومن خلال هذه الأبيات نجده يحنُّ إلى بيت الحبيبة، التي هجرها ولم يستطع نسيانها أو زيارتها، ورغم زيارة طيف ليلى له في السجن إلا أنه مثقل بالقيود في رجليه [1]، هنا نلامس شدة عجز الشاعر بالتخلص من هذا الأسر، حتى وإن حنّ إلى بيت الحبيبة فهو لا يستطيع الخروج منه إلا بطريقتين إما بالهرب أو الموت، فندرك شدة الشعور بالاغتراب عن بيت الحبيبة في شعره، وإن هذا الشاعر بعد التصفح في أشعاره نجد بكثرة بروز معاناة الاغتراب عن المكان وفي داخل السجن.

ومن خلال قراءتنا لأشعار الصعاليك والفتاك، نجدهم قد عانوا من سجن الغربة في الصحراء والفلوات والجبال هربا من بطش بني أمية وخوفا من القتل أو الأسر، فعندما مارسوا الحرية في هذه الأماكن أضحت روحهم سجينة وطنهم، فتجلت صور الشوق والحنين في الكثير من قصائدهم، كما تجلت مظاهر التشريد والنفي والخوف من العدو أن يلتبس بهم، كما تابعنا أيضا أن هؤلاء الصعاليك وهم داخل السجون مقيدة أطرافهم، يطمحون في الحرية والفرار إلى أعماق الصحراء، فعانوا من غربة السجن، فتجلت هذه الأخيرة في أبياتهم وذلك بالإحساس الدائم بالغربة والنوى والبعد عن الديار والأهل.

وفي الأخير نخلص إلى أن رغم كثرة ذكر الأماكن في شعر صعاليك العصر الأموي، وافتخارهم بانتمائهم للمكان الجديد "الصحراء والجبال" ومؤانسة الوحوش، واعتبارها أشد وفاءًا واخلاصا من جنس البشر، إلا أن هذا الأمر لم يشعرهم بالطمأنينة الدائمة والأمان الذي يبحثون عنه، ولم يعجبهم لما هم عليه في حاضرهم فتمنوا العودة إلى حياتهم السابقة قبل التصعلك، فرغم ما حققه المكان الجديد في سرعة عدوهم وقوة إغارتهم وإنجاز بطولاتهم، إلا أنه لم يقضي على مشاعر ولواعج الشوق والحنين إلى الديار والوطن، ما ساهم في بروز ظاهرة الاغتراب المكاني في الكثير من أشعارهم،

[1]- ينظر في الهامش: المصدر السابق، ص: 275.

كما نجد أن المكان المرفوض والمتمثل في مكان القبيلة والبيت لم يدم طويلا هذا الإحساس، فقد حنوا إلى ديارهم وهم بين جدران السجن، داعين الأهل والأصدقاء ليُعيلوهم من ظلمة السجن وعذابه، طامعين في الحرية، أو حتى عندما كانوا أحرارا فقد سئموا من حياة المطاردة والتخفي وحنوا إلى ماضيهم وذكرياتهم الجميلة في أماكنهم القديمة، وهذه الأخيرة تستدعي الحنين إلى الوطن.

4. مظاهر الاغتراب في شعر الصعاليك:

أشرنا في بداية دراستنا في المدخل النظري إلى مظاهر الاغتراب التي حدّدها **ملفن سيمان**، في خمسة مظاهر وهي: العجز واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية واغتراب الذات، وهذه الأخيرة تتفرع إلى فروع بحسب تجربة الشخص ونفسيته كالقلق والخوف والتمرد وغيرها، ومن خلال دراستنا للشعراء الصعاليك ومعاناتهم مع الغربة والاغتراب، وجدنا بروز هذه المظاهر في ثنايا قصائدهم ولكي نوضح ذلك نشير إلى بعضها:

لامسنا في كثير من قصائد الصعاليك شعورهم الدائم بالعجز وعدم السيطرة على تصرفاتهم ورغباتهم فلم يستطيعوا تحديد مصيرهم بأنفسهم مثل ما رأيناه سابقا في غربة السجن، إذ هذا الأخير ساهم وبشكل فعال في بروز هذه الظاهرة فالخلفاء مثلا هم من يحددون مصيرهم ويتحكمون في إرادتهم وأفعالهم وذلك إما بقتلهم أو الإفراج عنهم، لهذا نجد بعضهم يطلب العفو من الخليفة خوفا من الموت مثل ما فعل الشاعر **عبد الله بن الحجاج** وهو شاعر صعلوك من صعاليك العصر الأموي حيث قال للخليفة **عبد الملك بن مروان:**

لأَنتَ وخيرُ الظافرِيـــنَ كِــرامَهُم *** عَنْ المُذنبِ الخَاشِي العِقَابَ صَفُوحُ

ولو زلقــت من قبل عفـوك نـعله *** تــرامى بــه دحـض المقــام بريــح

تداركني عَفْوَ ابـن مـروانَ بَعدَمـا *** جَـرَى لِـي مِـنْ بَعـدِ الحَيَـاةِ سَنِيــحُ [1]

كما نجد **دوير بن دؤالة العقيلي** يعبر عن حزنه واغترابه داخل السجن فيشعر بالانكسار والعجز على تحقيق رغباته حيث يقول:

أسجناً وقيدًا واغترَابًا وعُسرَةً *** وَذِكرَى حَبيبٍ ؟ إِنَّ ذَا لعَظِيمُ [2]

وأما مظهر اللامعيارية فقد حضر في حياة الصعلوك، وما وجده من مبادئ تحكم القبيلة والدولة، مثل ما وجده عند: السعاة والولاة الذين يأخون أموال فقراء القبائل باعتباره أمر مقبول، ما ساهم في تمرد ونفور الصعاليك من قبائلهم ومن نظام الحكم الذي تسير وفقه الدولة الأموية، لأنهم وجدوا أن الأمور المرفوضة أضحت أمور مقبولة، فاختاروا منهجا يحكمهم وهو قطع الطريق والفتك بهؤلاء الأغنياء وما هذا التمرد إلا ردة فعلية عما فعله السعاة والولاة، إذ أصبح كلُ ومصلحته الشخصية التي يسعى إليها ولا يهمه الآخرين.

كما وجدنا مظهر العزلة الاجتماعية بارز في حياة الصعاليك، وتجلى ذلك بشعورهم بالوحدة والعزلة والشعور بالرفض من طرف قبائلهم بعد طردهم وخلعهم، فهاموا في القفار يبحثون عن أنيس يأنسون معه، ينسيهم معاناة الوحدة وهذا ما رأيناه في أشعارهم إذ افتخروا بأنسهم بالحيوانات الضارية وغناهم عن الإنس مثل ما رأينا سابقا في أبيات **عبيد بن أيوب العنبري والأحيمر السعدي**، حتى أضحى الواحد فيهم يقول:

لَقد خِفتُ حتَّى خِلتُ أَنْ لَيسَ نَاظِرٌ *** إِلَى أَحَدٍ غَيرِي فَكدتُ أَطيرُ

وَلَــيسَ فَــم إلا بــسرى محــدث *** وليْسَ يـدُ إِلَا إلــيَّ تشيــرُ [3]

---

[1]– حمودي نوري القيسي، شعراء أمويون، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م، ص: 301_302.

[2]– عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، مج1، ج1، ص: 137.

[3]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي، ج1، ص: 395.

فهنا نلاحظ شدة خوف **عبيد بن أيوب العنبري** في القفار لأنه وحيد منعزل عن الجماعة يخشى في اقتناصه من جميع الناس، كما نلاحظ بروز ظاهرتي الخوف والقلق في أشعارهم خصوصا من السلطان، حيث يقول **القتال الكلابي:**

أَيُرسِلُ مَروَانَ الأَمِيرُ رِسَـــالَةً *** لآتيـــهِ، إِنِـــي إذن لمضـــلـــلُ

ومَا بِي عِصيَانُ ولَا بُعْدَ مَنزِلَ *** وَلكِنَنِي مِن خَوفِ مَروَانَ أوجلُ [1]

وهنا نلاحظ شدة الخوف والقلق من السجن والقتل من طرف الخليفة وحلفائه فتزداد مشاعر الاغتراب والعزلة والوحدة في هذا الموقف.

وقد يصل بعضهم إلى الإحساس بعدم تقبل ما آلت إليه أنفسهم وهذا ما يطلق عليه الاغتراب عن الذات، ويتجلى ذلك في الخوف من عقاب الله فالنفس الإنسانية ترجع إلى صفائها وطهارتها بعد شدة القسوة والمعاناة وقرب الأجل، لهذا لاحظنا أن هناك من الصعاليك من تاب وابتعد عن حياة اللصوصية والفتك والصعلكة مثل ما رأيناه سابقا عند **مالك بن الريب** يقول:

أَلَمْ تَرَنِي بِـــعتُ الضَـلَالَة بالهُدَى *** وَأَصبَحتُ فِي جَيْشِ ابنَ عَفَانَ غَازِيَا [2]

وفي الأخير نخلص إلى أن الاغتراب المكاني لعب دورا هاما في حياة الصعاليك، وبرز في كثير من أشعارهم واتخذ أشكالا عدة للتعبير عنه، فزاد في الأدب العربي جمالا وإبداعا يخدم اللغة العربية، خصوصا وأنه يعبر عن حالات إنسانية قد تصادف الواحد فينا.

[1]– ديوان القتال الكلابي، ص: 77.

[2]– محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي، ج2، ص: 178.

خاتمة:

في ختام دراستنا هذه والموسومة بـ" الاغتراب المكاني في شعر الصعاليك"، توصلنا إلى جملة من النتائج نعرضها فيما يلي:

- اتخذ مصطلح الاغتراب دلالات عدة وتطور بتطور الزمن واختلف باختلاف الدارسين له، لكن يبقى معنى الانفصال سواء عن الذات أو المجتمع أو عن الوطن مشترك مع معنى الاغتراب.
- بعد التجول في معاجم وقواميس اللغة العربية، وما لاحظناه من رؤية بعض الدارسين لمصطلح الغربة والاغتراب تبين أن كليهما يحمل معنى واحد، لكن يبقى الفرق الجوهري بين المصطلحين يكمن في أن الغربة مرتبطة بالبعد عن المكان في حين أن الاغتراب مرتبط بشعور الفرد.
- يحمل الاغتراب جملة من المعاني وهي الشعور بعدم الانتماء، النزوح عن الوطن والبعد والنوى، والذهاب والتنحي، والغياب والوحدة وغيرها.
- اهتم علماء وفلاسفة الغرب ومن العرب القدماء والمحدثين بمصطلح الاغتراب، نتيجة أنه حاضر في كل زمان، وينتقل بنا من جيل إلى جيل لذا وجب العناية به ومحاولة إيجاد حلول يقينية تقضي على مظاهره السلبية التي تهدد الإنسان المغترب.
- حمل الاغتراب دلالات فلسفية واجتماعية واقتصادية، كما حمل دلالات ايجابية وسلبية.
- تعددت مظاهر الاغتراب بين العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، واغتراب الذات.
- ثبوت ظاهرة الصعلكة في العصر الجاهلي وامتدادها إلى صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي، غير أنها ضعفت في صدر الإسلام لتحقق العدالة والمساواة بين أفرادها، بينما في العصر الأموي برزت فيه وقويت نظرا للتضاربات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الدولة مع معارضيها.

- اشترك مفهوم الصعلكة بدلالات كثيرة منها؛ الفقر والفتك واللصوصية وقطاع الطرق والنهب والغزو.
- شهدت الدولة الأموية الإسلامية نزاعا حادا مع معارضيها سواء المعارضين السياسيين أو فتيان الصعاليك، فكان بروز هذه الفئات المناقضة للنظام الأموي راجع إلى السياسة الفاسدة وسوء التسيير الذي مر في تلك الحقبة.
- تعددت عوامل اغتراب الصعاليك في العصر الأموي فكان لزاما أن تتعد أنواع الاغتراب، وتجلت في كثير من أشعارهم التي تعبر بصورة كبرى عن قضاياهم ومغامراتهم ومعاناتهم ومن هذه العوامل:
- العامل السياسي الذي نتج عنه اغتراب سياسي، وعامل اجتماعي تمخض عنه اغتراب اجتماعي، وعامل اقتصادي استلزم ضرورة بروز الاغتراب الاقتصادي في قصائدهم دون أن ننسى العامل الجغرافي ما أدى إلى تعدد فئات الصعاليك.
- يقصد بالاغتراب المكاني الانتقال من مكان إلى آخر إما بطرق قهرية أو بطرق اختيارية، وما ولده هذا الانتقال في النفس الإنسانية من الشعور الدائم بعدم الانتماء والشوق والحنين إلى أراضي الوطن، أو إلى الطبيعة وما ترسمه في مخيلة البعيد عنها.
- شغل المكان حيزا مهما في الحياة الإنسانية نظرا لأهميته البارزة وما يلعبه من دور على الأفراد، فنظر له الكثير من العلماء والدارسين نتيجة لارتباطه مع مختلف المجالات والميادين، نذكر منها على سبيل المثال، الجانب الهندسي والجانب الفيزيائي والجانب الفلسفي، والجانب الفني، وهذا الأخير تمحور في كثير من فنون الأدب نثرية كانت أم شعرية.
- صور الصعاليك علاقتهم بالمكان في الكثير من أشعارهم لأنه كان بمثابة المرآة العاكسة لمشاعرهم وانفعالاتهم، ومنه يعبرون عن ضيقهم وخوفهم ومعاناتهم علّه يخفف عنهم.

- رفض الصعاليك كل الأماكن التي تشعرهم بالذل والهوان وكانت هذه الأماكن متمثلة في مكان القبيلة والبيت، خصوصا عندما طردوا منها أو ابتعدوا عنها لعدم تقبلهم القوانين التي تحكمها، وافتخروا بالمكان الجديد الذي أغناهم عن أماكنهم القديمة وحقق لهم الحرية والقدرة على نيل سبل العيش الكريم.
- أَلِفَ الصعاليك الكهوف والجبال والصحراء ورافقوا حيواناتها الموحشة واستأنسوا معها واعتبروا هذه الأماكن منازل تأويهم وتمكنهم في القدرة على الاختفاء، لأنها توفر لهم الأمان بعيدا عن أعين العدو.
- شهد شعر الصعاليك ظاهرة التحول المكاني والانتقال به من المكان المألوف إلى المكان المعادي أو العكس، وذلك بحسب قدوم الخطر.
- تميز شعر الصعاليك بذكر أسماء الأماكن التي كنّوا لها العداء، وتمثلت في السجون والقبور التي أبعدتهم عن حريتهم ومغامراتهم وما تولده من شعور الأسى والحزن والحنين.
- إن المتصفح لدواوين صعاليك العصر الأموي يجد بروز أنات الاغتراب المكاني في كثير من قصائدهم، ويتجلى ذلك في البعد عن الديار والأهل والوطن، سواء كان سببُ البعد التشرد في الفلوات الذي لم يحقق لهم حياة الاستقرار بقدر ما حقق لهم حياة المطاردة والخوف من المجهول المنتظر، أو تلك القيود والأغلال التي تتحكم بهم في السجون فكان الوطن يسكنهم بعد أن كانوا يسكنونه، فعانوا من سجن الغربة كما عانوا من غربة السجن.
- من أشهر الصعاليك الذين برز في قصائدهم مظاهر الشوق والحنين إلى الوطن والأهل ومظاهر الاغتراب، هم: **مالك بن الريب والسمهري بن بشر العكلي والقتال الكلابي وعبيد بن الحر الجعفي وعبيد بن أيوب العنبري** وغيرهم.

وفي الأخير يتبين أن المكان ترك أثرا بالغا في حياة الصعاليك وشعرهم، وبعد فهذه هي أهم النتائج التي توصلنا إليها، فإن وُفِّقنا فمن الله، وإن أخطأنا فحسبنا بعض الاجتهاد، والله ما وراء القصد.

1. التعريف بالشعراء الصعاليك:

- **الأحيمر السعدي:**

هو الأحيمر بن فلان بن الحارث بن يزيد السعدي من سعد بن زيد مناة بن تميم، كان الأحيمر لصا كثير الجنايات، فخلعه قومه، وخاف السلطان، فخرج في الفلوات وقفار الأرض [1]، وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، كان لصا فاتكا ماردا.[2]

- **جحدر بن معاوية المحرزي العكلي:**

هو جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي، أو جحدر بن مالك الحنفي، أثار الرعب في اليمامة وعمان، فحبسه الحجاج بن يوسف ثم أطلق سراحه [3]، وأورد الجاحظ في كتاب المحاسن والمساوئ أن كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له: جحدر بن مالك وكان لصا فاتكا شجاعا. [4]

- **الخطيم المحرزي:**

هو الخطيم بن نويرة العكلي، من بني عبد شمس ويغلب عليه المحرزي، وقيل هو الخطيم بن محرز أحد بني شمس، شاعر من شعراء العصر الأموي، حياته غير معروفة لأنها حياة تشرد وضياع كغيره من اللصوص.[5]

- **دوير بن دؤالة العقيلي:**

لم يوجد له خبر في المصادر القديمة، وهو شاعر لص، من صعاليك العصر الأموي وَرَدَ له بيتين فقط.

---

[1]– نبيل محمد الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 51_52.

[2]– عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 1996م، ص: 13.

[3]– المرجع نفسه، ص: 52.

[4]– نبيل محمد الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص: 143.

[5]– المصدر نفسه، ص: 226.

- **السمهري بن بشر العكلي:**

هو السمهري بن بشر، من بني عكل من الرباب، واحد من الشعراء اللصوص في أوائل العصر الأموي، لجأ إلى قبائل نجد، فَسَلم، ثم قتله والي المدينة في عهد عبد الملك بن مروان. [1]

- **طهمان بن عمرو الكلابي:**

يعدّ طهمان من لصوص العرب وفتاكهم، عاش في العصر الأموي، وله أخبار مع آل مروان، مدح منهم الخليفة عبد الملك، مات في خلافة عبد الملك بن مروان. [2]

- **عبد الله بن الحجاج الثعلبي:**

كنيته أبو الأقرع، أو أبو الأقيرع، شاعر وفارس فاتك، كان يرتزق من ذلك في الكوفة، أدرك خلافة الوليد بن عبد الملك.[3]

- **عبيد بن أيوب العنبري:**

هو أبو المطراب أو أبو المطراد، أحد الشعراء اللصوص في العصر الأموي، ذكر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويأكل الظباء والوحش.[4]

- **عبيد بن الحر الجعفي: (ت68هـ)**

هو أبو الأشراف بن جعفي بن مذحج، عاش في الكوفة، كان من أنصار عثمان بن عفان، اشترك في صفين تحت إمرة معاوية، رفض الاشتراك في كربلاء، تعاطف فترة مع عبد الله بن الزبير، ثم استقل بعد ذلك، أصاب العراق بالذعر، وغرق

---

[1]- عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 119.

[2]- نبيل محمد الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص: 332.

[3]- عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 149.

[4]- المرجع نفسه، ص: 156.

سنة 68هـ، كان شاعرا مرموقا [1]، ذكره رضا مروة في كتابه أنه شاعر صعلوك سياسي.

- **عروة بن الورد:**

هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن قطيعة عبس، من شعراء الصعاليك، بل هو أبو الصعاليك، وكان من أسباب خروجه اضطهاد أبيه له، وتفضيل أخيه الأكبر، واحتقار قومه له لدنو منزلة أمه في نسبها[2]، وقد عاش في العصر الجاهلي.

- **عمرو بن أحمر الباهلي:**

هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن تميم بن ربيعة بن حرام بن فرّاص بن معن الباهلي، وقيل: هو عمرو بن أحمر بن العمر بن عامر بن عبد شمس بن عبد فراص بن معن بن مالك، شاعر مخضرم، يُكنّى أبا الخطاب، أدرك الإسلام وأسلم، وغزى مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، وتوفي في زمن عثمان[3]، وقد ذكره حسين عطوان في كتابه الصعاليك في العصر العباسي وذكره محمد رضا مروة في كتابه الصعاليك في العصر الأموي، وعدوُّه صعلوكا من صعاليك العصر الأموي.

- **القتال الكلابي:**

هو عبد الله بن مجيب أو عبيد الله أو عبيد أو عبادة أو عباد، كما اختلف في اسم أبيه فهو مجيب ومحبب، أما جده فهو المضرحي، أما أمه فهي عمرة الكلابية، أما القتال فلأنه كان متمردا فاتكا، ومن الأخبار يستدل إلى أنه عاش في الجاهلية وامتد به العمر إلى أوائل عهد بني أمية. [4]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 157.

[2]- المرجع نفسه، ص: 164.

[3]- المرجع نفسه، ص: 173.

[4]- المرجع نفسه، ص: 211.

- **مالك بن الريب:**

كنيته أبو عقبة، من بني مازن من تميم، وهو من الشعراء اللصوص في أوائل العصر الأموي، لحق بسعيد بن عثمان بن عفان بعد اعتزاله الولاية وذهابه إلى خراسان، ومات مالك بعد ذلك بقليل في طريق عودته إلى وطنه، اشتهر برثاء نفسه لما حضرته الوفاة.[1]

- **يعلى الأحول الأزدي:**

هو ابن مسلم بن أبي قيس، شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، كان لصا فاتكا خاربا خليعا يجمع صعاليك الأزد وخلعاءَهم ويغير بهم على أحياء العرب، سجنه والي مكة وكان نافع بن علقمة. [2]

[1]– المرجع السابق، ص: 233.

[2]– المرجع نفسه، ص: 287.

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- **المصادر:**

1. أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح: وداد القاضي، ج1، دار الثقافة، بيروت_لبنان، ط2، 1982م

2. أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت_لبنان، د.ط، 1992م

3. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهومة، دار ابن كثير، دمشق_بيروت، ط1، 2002م

4. عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ج1، دار الحضارة الجديدة، بيروت_لبنان، ط2، 1992م

5. عروة بن الورد، الديوان، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، د.ط، 1418هـ_1998م

6. علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت_لبنان، ط4، 2004م

7. أبو عمرو بن بحر الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، تح: أبو سلوم المعتزلي، دار الرائد العربي، بيروت_لبنان، ط2، 1982م

8. القتال الكلابي، الديوان، تح: احسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، د.ط، 1989م

9. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف، القاهرة_مصر، د.ط، 1958م

10. مالك بن الريب، الديوان، تح: نوري حمودي القيسي، مج15،ج1، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، د.ب، د.ط، د.ت

11. محمد نبيل الطريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 2004م

12. محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تح: عثمان يحيى إبراهيم مركور، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1985م

- **المراجع العربية:**

1. إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، دار تموزة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013م

2. أحمد أمين، الصعلكة والفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة_مصر، د.ط، 2012م.

3. أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، دار قرطبة، البيضاء، ط2، 1988م.

4. أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م

5. حسين عطوان:

_الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت_لبنان، ط2، 1981م

_مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ط، 1970م

6. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية(متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت_لبنان، ط1، 2006م

7. حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار رضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م

8. حمودي نوري القيسي، شعراء أمويون، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م

9. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط4، 1993

10. سيزا قاسم، بناء الرواية (مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1984م

11. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994م

12. شوقي ضيف، كتاب الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج1، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط11، 1960م

13. عبد الحليم حفنى، شعر الصعاليك، منهجه، وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987م

14. عبد الرحمان بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975م

15. عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد العرب، دار الأنوار للطباعة، دمشق_سوريا، د.ط، 1986م

16. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت_لبنان، د.ط، 1987م

17. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة_مصر، د.ط، 2003م

18. عبد المطلب محمود، الإبداع والاتباع في أشعار فتاك العصر الأموي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003م

19. عفيف عبد الرحمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 1996م

20. فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة_مصر، ط1، 1997م

21. لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة_الجزائر، د.ط، 2013م

22. محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة_مصر، د.ط، 2010م

23. محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان_الأردن، ط1، 2013م

24. محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم، وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 1990م

25. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت_لبنان، ط7، 2010م

26. محمد عبيد صالح السبهاتي، المكان في الشعر الأندلسي(من الفتح حتى سقوط الخلافة)، دار الآفاق العربية، القاهرة_مصر، ط1، 2007م

27. محمود رجب، الاغتراب "سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط4، 1993م

28. مسعود بن ساري، جماليات المكان في حاضرة تلمسان، منشورات بن سنان، عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان_الجزائر، د.ط، 2011م

29. نسرين محمود الشرادقة، الاغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م

30. واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 1995م

31. وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي، مصورات عبد الرحمان النجدي، د.ب، ط1، 1976م

32. يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي(الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، عمان_الأردن، ط1، 2008م

33. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة_مصر، ط3، د.ت

- **المراجع المترجمة:**

1. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م

- **معاجم وقواميس اللغة:**

1. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ج3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1345هـ

2. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج4، دار مكتبة الهلال، د.ب، د.ط، د.ت

3. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج1،ج13، دار صادر، بيروت_لبنان، ط1، د.ت

4. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة_مصر، د.ط، 2008م

- **المجلات والدوريات:**

1. اعتدال عثمان، جماليات المكان، مجلة الأقلام، العدد2، العراق، 1986م

2. زليخة جديدي، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، جامعة وادي سوف_الجزائر، 2012م

3. سعدية حسين البرغثي، الاغتراب في شعر الصعاليك، مجلة الثقافة والتنمية، العدد50، جامعة بنغازي، 2011م

4. عبد الله بن سليمان السعيد، تجليات الاغتراب في شعر طرفة بن العبد، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، العدد2، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، 2016م

5. عبده بدوي، الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، مج15، العدد1،وزارة الإعلام، الكويت، 1984م

6. قيس النوري، الاغتراب، اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مج10، العدد1، وزارة الإعلام، الكويت، 1979م

7. مي أحمد يوسف، أدب السجون في العصر العباسي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج10، العدد2، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1995م

- **الرسائل الجامعية:**

1. جيهان عوض ابو العمرين، جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي، بحث لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، قطر، 2013م

2. دانيال علي عباس، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، قسم علم النفس، جامعة دمشق، 2016م

3. سعيدة قفصي، نريمان بن خدومة، الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، أسبابها وانعكاساتها على الحركة الوطنية(1830_1914م)، مذكرة لنيل درجة شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة_الجزائر، 2016_2017م

4. سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة_ الجزائر، 2006_2007م

5. صغير بن غريب عبد الله العنزي، رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري(رسالة دكتوراه)، قسم الأدب، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432هـ

6. عبد الخالق بن خضران بن مساعد الزهراني، المكان في الشعر السعودي، بحث لنيل درجة الماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1436هـ

7. فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي(أطروحة دكتوراه)، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م

8. محمد موسى البلولة الزين، الاغتراب والحنين في الشعر المهجري، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في الأدب العربي، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الخرطوم، 2010م

- **المواقع الالكترونية:**

1. ميساء نبيل عبد الحميد، الغربة والاغتراب في روايات(غائب طعمة فرمان)، موقع النقد العراقي، ت: 2017/05/06، 10:00H، 2018/08/20، 11:00H،

http://www.alnaked-aliraqi.net/article/41808.php

الفهرس:

• شكر وعرفان	
• مقدمة	أ_ج
• **مدخل نظري: الاغتراب مفهومه ومظاهره**	17_4
1. الاغتراب من منظور عربي	11_5
أ. لغة	6_5
ب.اصطلاحا	11_6
أولا. عند القدماء	8_6
ثانيا. عند المحدثين.....	11_8
2. الاغتراب من منظور غربي	14_11
أ. الاغتراب عند فريديريك هيجل (1770م_1831م)	13_11
ب. الاغتراب عند كارل ماكس (1818م_1883م)	14_13
ج. الاغتراب عند سيغموند فرويد (1856م_1939م)	14
3. مظاهر الاغتراب	17_15
• **الفصل الأول: عوامل اغتراب الصعاليك في العصر الأموي**	44_18
1.العامل السياسي.....	23_19
2.العامل الاقتصادي.....	28_24
3. العامل الاجتماعي.....	34_29
4. العامل الجغرافي.....	37_34
5. طوائف الصعاليك	44_38
أ. فئة الفقراء.....	41_39
ب.فئة الخلعاء والشذاذ	43_41

فهرس الموضوعات:

ج. فئة الفارين من العدالة.....	43
د. فئة الصعاليك السياسيين.....	44_43
• **الفصل الثاني: تجليات الاغتراب المكاني في شعر صعاليك العصر الأموي**	73_45
1. أهمية المكان	50_45
أ. المكان لغة	46_45
ب.المكان اصطلاحا	50_46
2. علاقة الصعاليك بالمكان	58_50
أ. علاقة الصعاليك بالمكان المألوف	54_50
ب.علاقة الصعاليك بالمكان المعادي	58_55
3. الاغتراب عن الديار والوطن.....	73_59
أ. اغتراب الهجرة والمنفى.....	65_59
ب.غربة السجن	71_65
4. مظاهر الاغتراب في شعر الصعاليك.....	73_71
• خاتمة	77_74
• ملحق	81_78
• قائمة المصادر والمراجع.....	89_82
• فهرس الموضوعات	
• ملخص	

ملخص:

الاغتراب المكاني من الموضوعات التي نالت حظها في شعر الصعاليك وأبرزت مظاهر الشوق والحنين إلى الديار والوطن أو إلى معايشة الطبيعة الحية، الأمر الذي يسمح بالتعرف على قضايا هؤلاء الشعراء سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، ويساهم في نقل التراث الأدبي في أبهى حلة، ويكشف عن الأسباب المؤدية إلى اغتراب الصعاليك، ومدونة بحثنا كشفت عن تجليات الاغتراب المكاني في شعرهم.

Résumé:

L'exil est considéré parmi les sujets ayant le plus été traités au sein de la poésie des poétes appatenant au Saalik, et a démontré les aspects de passion et de nostalgie pour la patrie et le pays, ou a cotoyer la nature, ce qui a permis de se rendre compte de la situation de ces poétes, qu'elle soit d'ordre social, politique ou économique, et contribue a faire passer le patrimoine littéraire dans le plus beau de ses aspects, et mettre en lumiére les causes de l'exil des poétes Saalik, le corpus de notre travail de recherche a mis en lumiére les manifestations de l'exil dans leurs poésies.